عمادة الدراسات العليا

برنلمج التاريخ

الجهاد المرابطيّ في الأندلس

(448 هـ/1056م) – (541هـ/1146م)

إعداد

صفا باسم أبورميله

إشراف

د.عمر شلبي

قُدِّمت هذّه الرسالة استكمالًا لمتطلّبات درجة الماجستير في التاريخ الأندلسيّ

بكلّيّة الدراسات العليا والبحث العلميّ في جامعة الخليل

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Mastersin Andalusian History in the college of Graduate Studies and Academic Research , Hebron University

2018

إجازة الرسالة

الجهاد المرابطي في الأندلس

(448هـ-/541هـ/1056-1146م)

Jihad of the Almoravids in AlAndalus

(1056-1146/448h-541h)

إعداد:

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت من لجنة المناقشة

يوم الخميس الموافق 2018/4/19م الموافق 20 رجب 1440هـ

أعضاء لجنة المناقشة:

		التوقيع
1. د. عمر شلبي	(مشرفاً ورئيساً)	.....
2. د. محمد الحروب	(ممتحناً خارجياً)	.....
3. د. محمد العلامي	(ممتحناً داخلياً)	.....

الإهداء

إلى رفيق الدرب. . . إلى مَن وقف بجانبي ورأى في علمي سبباً في تقدمي ونجاحي زوجي العزيز منتصر تميمي

إلى رمز الرجولة والتضحية. . . إلى مَن دفعني إلى العلم وبه أفتخر. . إليكَ أَبي

إلى مَن أرضعتني الحبَّ والحنان. . . إلى رمز الحبّ وبلسم الشفاء. . إلى القلب الناصع بالبياض. . إليكِ أُمي

إلى من هم أقرب إلى روحي. . إلى مَن شاركني حضن الأم. . . إليكم إخوتي

إلى أهل زوجي الأعزاء

إلى فلذة كبدي ابني الغالي قيس

إلى مَن كانوا لي دوماً أوفياء. . . أصدقائي الأعزاء

إلى الأهل والأقارب والزملاء

أهدي هذا البحث

الشكر والتقدير

بسطور قليلة في عددها، لا حدود لها في معناها، بما تختزله نفسي من مشاعرَ عظيمة ومعانٍ يملؤها الاحترام والتقدير والشكر اللامتناهي لكل من كانوا بجانبي في هذه الرسالة وأخصّ بالذكر .

- الدكتور المشرف عمر شلبي على ما قدمه لي من دعم ومساعدة. . . إذ منحني من علمه ووقته الكثير وأولى رسالتي بتوجيهاته وإرشاداته القيمّة إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن، فله منّي الشكر كلّه والتقدير والعرفان.
- أساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ في جامعة الخليل الذين كان لهم الفضل في توجيهي خلال فترة الدراسة.
- الأستاذ إسحاق الجعبري الذي دقّق الرسالة لغةً وأسلوبّاً ونحواً
- ولا أنسى أن أشكر زوجي العزيز الذي سار معي نحوَ الحِلم خطوةً بخطوة، وكان السّاهر على راحتي فهذا العمل بذرناه معًا، وحصدناه معًا . .
- وأشكر والدي ووالدتي اللذين قدما لي الدعم والمساعدة والدعاء .
- وفي الختام أشكر كلَّ مَن قدّم لي المساعدة ووقف بجانبي وساندني، فبفضلهم خرجت هذه الرسالة إلى حيّز الوجود .

المختصرات والرموز

م	ميلادي
هـ	هجري
د.م	دون مكان نشر
د.ت	دون تاريخ نشر
د.د	دون دار نشر
مج	مجلد
ط	طبعة
ت	تُوفيّ

فهرس الموضوعات

الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ت
المختصرات والرموز	ث
فهرس الموضوعات	ج
ملخص الرسالة	خ
المقدمة	ذ
الفصل الأول أحوال الأندلس في القرن الخامس الهجري	1
الأحوال السياسية	1
الأخطار المحدقة بالإسلام في الأندلس	2
سقوط طليطلة	9
سقوط سرقسطة	11
الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في القرن 5هـ/11م	16-15
الحياة العلمية	16
الجيش المرابطي	18
نشأة الجيش المرابطيّ وتطوره	18
عناصر الجيش المرابطيّ	21
قادة الجيش	23
نظام الجيش المرابطيّ في المعركة	24
أسلحة الجيش	25
الفصل الثاني دور العلماء في الحياة السياسية في الأندلس	27
دور العلماء في الدعوة إلى الجهاد	29
الدعوة لتوحيد ملوك الطوائف معارضة ملوك الطوائف ونقدهم	33
معارضة ملوك الطوائف ونقدهم	35

استدعاء المرابطين للأندلس	37
العبور الأول ليوسف بن تاشفين للأندلس	43
معركة الزلاقة	46
دور العلماء في معركة الزلاقة	54
الفصل الثالث المرابطون وملوك الطوائف والممالك النصراينة	58
القضاء على ملوك الطوائف	58
العبور الثاني ليوسف للأندلس	60
حصار حصن لييط والخلافات القائمة بين ملوك الطوائف	63
دور العلماء في اسقاط ملوك الطوائف	67
الجواز الثالث ليوسف بن تاشفين إلى الأندلس	69
ضم غرناطة إلى حُكم المرابطين	72
ضم إشبيليه إلى حُكم المرابطين	73
ضم بطليموس إلى حُكم المرابطين	75
ضم بلنسية إلى حُكم المرابطين	76
العبور الرابع ليوسف إلى الأندلس	77
جهاد المرابطين ضد الممالك النصرانية	79
معركة أقليش	80
غزوة طلبيرة	81
سقوط سرقسطة	83
موقعة كتنده	86
وقعة القلاعة	87
موقعة إفراغة	89
نهاية دولة المرابطين في الأندلس	92
الخاتمة	94
قائمة المصادر والمراجع	98

ملخص الرسالة

سقطت الخلافة الأموية في الأندلس في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، فبسقوطها ظهر العديد من الدوَيْلات التي سُميت بدول الطوائف، كان أمراء هذه الدويلات وحُكّامها في صراعٍ دائمٍ فيما بينهم، وكانت سياستهم تقوم على تحقيق مصالحهم الشّخصيّة دون الاهتمام لمصلحة الدولة والشَّعب، ونتيجة لهذه السياسة عانت الأندلس من سوء في الأوضاع السياسية بسبب قيام الحروب بين هؤلاء الأمراء، وأثر سوء الوضع السياسيّ على الوضع الاقتصاديّ، كما أثرت هذه السياسة على سكان الأندلس حيث بدؤوا يتذمرون من ذلك، واستغل ملوك النصارى هذا الوضع وشَنّوا الغاراتِ على العديد من المناطق في الأندلس، وقاموا بمحاولات الاستيلاء على عدة مدنّ أندلسيّة، بَدأ خطر هؤلاء النصارى يتفاقم يوماً بعد يوماً، ونتيجة لذلك أفاق ملوك الطوائف وعلموا مدى خطورة الوضع في الأندلس، فما كان منهم إلا أن اتفقوا فيما بينهم على طلب العون من المرابطين في المغرب بقيادة يوسف بن تاشفين، حيث استجاب هذا القائد لاستغاثات ملوك الطوائف، وعبر مرات عدة إلى الأندلس، وفي كلّ مرة كان يعبر بها إلى الأندلس كان يحقق النصر، فهؤلاء المرابطون جاهدوا بكلّ ما عندهم من قوة من أجل تخليص الأندلس من هيمنة النصارى وسيطرتهم عليهم.

لم يكن جهاد المرابطين في الأندلس ضدّ الممالك النصرانية فقط، بل جاهدوا ضدّ ملوك الطوائف الذين سرعان ما اكتشف قائد المرابطين ابن تاشفين مدى تخاذلهم في الدفاع عن الأندلس واكتشف مدى طمعهم في الحصول على المناصب دون أن ينظروا لمصلحة الشعب ومصلحة الدولة، فقام المرابطون بخلع هؤلاء الأمراء عن مناصبهم، وضمّ الأندلس لحكم المرابطين، وبعد أن تمّ ضمّ الأندلس إليهم، وَجَّهَ المرابطون جهادهم ضدّ الممالك النصرانية، فقد كانت الحرب سجالاً بين المسلمين والنصارى، فانتصروا في بعض الحروب وانهزموا في بعضها الآخر، رغم ما بذله المرابطون في الأندلس ورغم جهادهم العنيف ضد الممالك النصرانية، إلا أنهم فشلوا في بقاء الأندلس تحت سيطرتهم، واستطاع النصارى السيطرة عليها، وانتهى حكم المرابطين بها 539هـ /1144م وسبب ذلك قيام ثورات متعددة ضدّهم في معظم مناطق الأندلس، كما أن قوة الأندلس بدأت

تضعف بعد وفاة يوسف بن تاشفين 500هـ/ 1106م، رغم نهاية حكمهم في الأندلس، إلا أنّ المرابطين سطّروا في تاريخ الأندلس صفحاتٍ مشرقةٍ يضرب بها أروع الأمثلة.

"**بسم الله الرحمن الرحيم**"

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على أشرف الخلق سيّدنا محمّد- صلّى الله عليه وسلّم- وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد:

تُعدّ فترة الجهاد المرابطي في الأندلس فترةً مشرقةً من تاريخ الأندلس، فقد كان للمرابطين جهد واضح في ميدان الصّراع، الذي تمحور حول طرفين، الطرف الأول: أمراء الطوائف الذين عاثوا فساداً في بلادهم، فقد كانت سياستهم تقوم على تفضيل مصلحتهم الخاصّة على المصلحة العامة، فما كان من المرابطين إلا أن قاموا بتخليص الأندلس من سيطرتهم وفسادهم وسوء حكمهم، أما الطرف الآخر الذي شمله جهاد المرابطين في الأندلس (هو الممالك النصرانية) فقد كانوا هم الهدف الذي عَبر من أجله المرابطون إلى الأندلس، حيث أرادوا تخليص الأندلس من سيطرة النصارى، وضمها لحُكّم دولة الإسلام، وبالفعل بذل المرابطون كلّ قوتهم لتحقيق ذلك الهدف، ولكن حدث في النهاية أن انتهى حكم المرابطين في الأندلس، وانتقالها إلى حُكّم النصارى.

وبناءً على ذلك، فقد كان الجهاد المرابطي في الأندلس هو محور هذه الدراسة الذي بدأ من عام (448هـ/1056م) إلى عام (541هـ /1146م).

أما فيما يتعلق بفصول الدراسة، فقد اقتضت مادة البحث أن تقع في ثلاثة فصول حيث تناول الفصل الأول الحديث عن أحوال الأندلس في القرن الخامس الهجري، فقد شمل الحديث عن الأحوال السياسية، والأخطار المحدقة بالأندلس في تلك الفترة، ومن هذه الأخطار سقوط طُليطلة وسقوط سرقسطة، بالإضافة إلى الحديث عن الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة وعن الحياة العلمية، كما تناول الفصل الحديث عن الجيش المرابطي من حيث نشأته، وعناصره وقادة الجيش، ونظام الجيش في المعارك وأسلحته.

بينما تطرقت في الفصل الثاني الحديث عن التدخّل المرابطي في الأندلس، وذلك من خلال توضيح دور العلماء في الحياة السياسية في الأندلس، حيث كان لهم دور في حثّ المرابطين على نجدة

الأندلس إضافةً إلى تحريض أمراء الطوائف وتشجيعهم على القتال، وتمّ الحديث عن الدعوة لتوحيد ملوك الطوائف تحت رايةٍ واحدةٍ، والاتفاق فيما بينهم في الدفاع عن أرضهم ضدَّ خطر النصارى، وبعد ذلك الحديث عن توجيه الانتقادات لملوك الطوائف بسبب رفض اتحادهم مع بعضهم البعض، واتّباعهم سياسة تُحقِّقُ مصالحهم، بالإضافة إلى الحديث عن طلب العون من المرابطين، وعُبور يوسف بن تاشفين عدة مرات إلى الأندلس، ثم الحديث عن معركة الزلاقة، من حيث مجرياتُها ونتائجُها، ودور العلماء فيها.

أما الفصل الثالث فقد خُصص للحديث عن القضاء على ملوك الطوائف، وحصار ابن تاشفين لحصن لييط، بالإضافة إلى الحديث عن دور العلماء في إسقاط ملوك الطوائف، وذلك بتحريض المرابطين عليهم من خلال كتاباتهم ودعواتهم، وكذلك الحديث عن ضمّ المرابطين الكثير من المناطق الأندلسية لحكمهم، ومنها: غرناطة وإشبيلية وبطليموس وبلنسية، كم تناول هذا الفصل جهاد المرابطين ضدّ الممالك النصرانية، حيث وقعت بين المرابطين والنصارى عدّة معارك منها: معركة أُقليش، وطلبيرة، وكتندة، والقلاعة، ومن ثم إفراغة، ثم سقوط سرقسطة، ثمّ تناول هذا الفصل دولة المرابطين في الأندلس، وقيام دولة الموحّدين التي حملت لواء الجهاد في الأندلس بعد المرابطين.

وضمّت الرسالة خاتمةً احتوت في مضمونها، على النتائج التي تمّ التوصّل إليها، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع وفهرس للمحتويات.

بعد القراءة والتمحيص ، لم أقف على دراساتٍ سابقةٍ تنفرد في حديثها عن فترة الجهاد المرابطي في الأندلس بشكل خاصّ، بل وجدتُ بعض الدراسات الحديثة التي تناولت الحديث عن دولة المرابطين بشكل عام، منها بحث جامعي بعنوان **يوسف بن تاشفين في التاريخ** لعمر أعراب يتناول الحديث عن حياة يوسف بن تاشفين وجهاده ضدّ أعداء الدولة الإسلامية في المغرب والأندلس، وكتاب **دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي** لمحمد عنان، فقد تناول الحديث عن فترة ملوك الطوائف في الأندلس، وعن كيفية دخول المرابطين إلى الأندلس وفتحهم للعديد من المدن الأندلسيّة، ورسالة ماجستير بعنوان **الأثر السياسيّ للعلماء في عصر المرابطين** لمحمد بن بيه، تتحدث هذه الرسالة

عن العلماء ودورهم في الحياة السياسيّة في عهد المرابطين فقد كان لهم دور واضح في الحياة السياسيّة في جميع مراحل الجهاد حتّى سقوط المرابطين.

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة باعتبارها الدراسة الوحيدة التي انفردت في الحديث عن الجهاد المرابطيّ في الأندلس.

يأتي اختيار هذا البحث للحديث عن فترة جهاد المرابطين في الأندلس ، فقد عمدت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الدور الجهادي الذي أداه المرابطين في الأندلس، ومدى دورهم في تأخير سقوط الأندلس بيد النصارى، ودورهم في إسقاط ملوك الطوائف الذين عاثوا في الأندلس فساداً كما تمّ اختيار هذا البحث نظراً لأهميته هذه الفترة في تاريخ الأندلس، فقد ضَرب المرابطون أروع الأمثلة في تاريخ الدولة الإسلامية لما قاموا به من دور جهادي بذلوا فيه كلّ طاقاتهم من أجل الدفاع عن الأندلس.

وسلّط هذا البحث أيضاً الضّوْءَ على دور العلماء في الحياة السياسيّة في الأندلس، من خلال دعواتهم للدفاع عن أرض الأندلس التي لاقت استجابة كبيرة من قِبل أهل الأندلس وبعض أمرائها، فنجد أنّ العلماء كان لهم أثرٌ واضحٌ في تحريك السياسة في مراحلَ متعدّدة من تاريخ المسلمين.

فمن خلال دراستي هذه، كنت أميل إلى دراسة تاريخ المسلمين في الأندلس، لما كان لهم من دور مهم بارز في تأخير سقوط هذا القطر الإسلامي المهمّ بيد النصارى، فقد تولّدت لديّ رغبة في هذه الدراسة لأوضحَ إنجازاتِ المسلمين وما بذلوه من قوة في سبيل بقاء الأندلس جزءاً من الدولة الإسلاميّة.

تمّ استخدام المنهج التاريخيّ، الوصفيّ التحليليّ للحصول على المعلومات من مصادرها المتنوعة ومن ثمّ نقدُ هذه المعلومات وتمحيصها ودراستها بشكل علميّ ، فقد تمّ الوصول إلى نتائج جديدة تتعلق بفترة الجهاد المرابطيّ في الأندلس، إذ تمّ التعرف على إنجازات هذه الدولة في الأندلس وما أحدثته من تأثير على التاريخ الإسلاميّ فيها .

ومن أهم الصعوبات التي واجهت الباحثة، تكرار المعلومات عند العديد من الباحثين، فمعظهم اعتمدوا في أخذ المعلومات على مصدر واحد، كما واجهت الباحثة صعوبة في قلة المصادر الأجنبية في مكتباتنا، حيث تعمل هذه المصادر على إثراء هذا الموضوع بشكلٍ كبيرٍ، وقلّة المصادر التي تتحدث عن الجهاد المرابطي بشكل منفرد، فجميع المصادر تناولت الحديث عن دولة المرابطين بشكل عام، دون الانفراد بالحديث عن جهادهم في الأندلس.

تحليل لأهم المصادر والمراجع

استقت الدراسة مادتها من طائفة من المصادر والمراجع التي من أهمها:

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (695هـ/ 1295م)** ويُعدّ هذا المصدر من أهم المصادر التي تمّ الاعتماد عليها في هذه الدراسة، فقد احتوى على معلوماتٍ مهمّةٍ حول دولة المرابطين وجهادهم في الأندلس.
- **الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري(ت 900هـ/ 1494م)**، فقد اعتمدت الدراسة على هذا المصدر الذي يُعدّ من المصادر المهمة التي تمّ الاستفادة منها في الحصول على تعريف لأهمّ المدن والمناطق الأندلسيّة.
- **مذكرات الأمير عبد الله لابن بلقين (ت 483هـ/ 1090م)**، وهذا المصدر تمّ الاعتماد عليه باعتباره مصدرا مهماً من مصادر تاريخ الأندلس، فقد عاصر مؤلّف الكتاب وهو عبد الله بن بلقين بن زيري أحداث هذه الفترة التي تحدثت عنها هذه الدراسة، لذلك يُعدّ مصدراً من المصادر المهمّة.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني (ت 1041هـ/ 1631م)**، وهذا الكتاب يُعدّ موسوعةً كبيرةً يمكن الاعتماد عليها في الحصول على المعلومات عن الأندلس وحضارتها، فقد اشتمل على معلوماتٍ لا بأس بها في مجال الحديث عن دولة المرابطين وجهادها في الأندلس.

- **الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية للصيرفي** 570هـ/1162م، يختصّ هذا الكتاب بالحديث عن الدولة المرابطية بشكل عام، وتناول الحديث عن دورهم الجهاديّ في الأندلس، فهو بذلك يُعتبرُ مصدراً مهماً اعتمدت عليه الدراسة.

بالإضافة إلى المصادر، فقد اعتمدت على مجموعة من المراجع العربية، ومنها:

- **قيام دولة المرابطين** لحسن محمود، يتناول هذا الكتاب الحديث عن دولة المرابطين من جميع النواحي، من حيث نشأتها وتاريخها السياسيّ والجهاد في المغرب والأندلس.
- **دولة المرابطين في المغرب والأندلس** لسعدون نصر الله، حيث تحدث هذا الكتاب عن دولة المرابطين في فترة حكم يوسف بن تاشفين، ودوره الجهاديّ في الأندلس، وكيف ضمها إلى حُكّم الدولة الإسلامية.

ومن المراجع الأجنبية التي اعتمدت عليها الدراسة:

Provencai, Llevi, **Historie de Lespagne, Musulman**. –

_Thomron, Ea, **The Gaoths In Spain** .

الفـــــصـــــــــل الأول

أحوال الأندلس في القرن الخامس الهجري

بعد سقوط الخلافة الأموية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، انقسمت الأندلس إلى دُويلاتٍ طائفيةٍ تحكمها مجموعة من الأمراء، وسُمِّي هذا العصر بعصر ملوك الطوائف، الذي بدأ عام(422هـ/ 1030م)، فبعد أن وصلت الأندلس إلى مرحلة من التطور والازدهار، انحدرت بعدها نحو الاضمحلال والضياع، وذلك بسبب تعدّد الملوك والأمراء الذين حكموا الأندلس، والتفكك بعد الوحدة.

يُعّدُ القرن الخامسُ الهجريّ قرناً مظلماً من تاريخ الأندلس. لأنّ الدولة الأندلسيّة تناثرت أجزائها وتمزّقت أركانها بشكل كبير إلى دويلاتٍ طائفيةٍ متنافرةٍ[1]، ، فقد كان في كلّ مدينة دولة ولكلّ مقاطعة حدودٌ، وبلاطٌ ورجالٌ، امتد عصر الطوائف في الأندلس حوالي ثمانين عاماً، كان في غالبيته عصرَ تفكُّكٍ وانحلال سياسيٍّ واجتماعيّ. [2]

انقسمت الأندلس إلى دولٍ مستقلةٍ بسبب كثرة الحروب الأهلية وظهور أطماع كبيرة لدى الولاة ، فكان يحكم في المدن الكبرى، وفي الولايات أمراء أو ملوك، يتبعهم عدد من الولاة والقضاة، وكان بعض هؤلاء الولاة يحاولون الاحتفاظ باستقلالهم عن كلّ سيادة، فزاد ذلك من حدّة الصراعات والحروب فيما بينهم. [3]

قال ابن خلدون:(كان ابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم لما انتثر ملك الخلافة العربية بالأندلس وافترق الجماعة بالجهات، وصار ملكها في طوائف من الموالي والوزراء، وأعياض الخلافة وكبار العرب والبربر

---

(1) مصطفى ، شاكر ، **الأندلس في التاريخ** ،75 .

(2) زغروت ، فتحي ، **النوازل الكبرى** ، 430 .

(3) أشباخ ، يوسف ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، 10 .

واقتسموا خططها،وقام كلّ واحد بأمر ناحية منها، وتغلّب بعضٌ على بعضٍ، واستقلْ أخيراً بأمرها ملوك منهم استفحل شأنهم، ولاذوا بالجزيرة للطاغية،أو يظاهرون عليهم أو ينتزعونهم ملكه)[1].

يُعدّ تفرق الأندلس إلى عددٍ من الولايات مظهراً من مظاهر الفوضَى، وعاملاً من عوامل الفتنة في تلك الفترة ، فقد أدى تعدّد بلاطات الحكم في الأندلس، إلى تفرق الكلمة، وانتشار التفرقة بين المقاطعات والمناطق المختلفة فيها ، وأصبح كلّ أمير من الأمراء يحاول القضاء على الطرف الآخر من أجل أن يبقى هو المسيطر على حكم الدولة، وبالتالي اندلعت بسبب ذلك فتنة وحروب كثيرة فيما بينهم[2] .

الأحوال السياسيّة :

سادت الأندلس بعد سقوط الخلافة حالة من الحيرة والارتباك، بدأت عقبَ قيامِ دولٍ متعددةٍ عُرفت بدول الطوائف، فقد توزّعت الأندلس في حوالي عشرين مملكة مستقلة[3]، من أشهرها:مملكة بني عَبّاد في إشبيله[4]، وبني جمود بمالقة[5]والجزيرة وبني زيرى بغرناطة[6]، وبني هود بسرقسطة [7]، وبني ذي النون

---

(1) عبد الرحمن ، بن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، 120 .

(2) العبادي ، أحمد ، **في تاريخ المغرب والأندلس** ، 279 .

([3]) الحجي ، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، 330

([4]) تقع في شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة ستة عشر يوماً، وهي مدينة سهلية، وقاعدة من قواعد الأندلس، تقع على نهرٍ جارٍ يسقى المزارع، ولها أربعة أبواب، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 97 .

([5]) مدينة في الأندلس، بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام، وهي مدينة قديمة أزلية، أصل تسميتها اشبالي معناه المدينة المنبسطة، الحميري، محمد ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،517 .

([6]) بفتح أوله وسكون ثانيه ثم النون وبعد الألف طاء مهملة، ومعنى غرناطة رُمانة بلسان العجم الأندلسي، وسُمِّي البلد لحسنه بذلك، وهي أقدم مدن الأندلس وأعظمها، وأحسنها، وأحصنها، شهاب الدين، الحموي، **معجم البلدان**، باب العين .

([7]) تقع في شرق الأندلس، وتسمت المدينة البيضاء ، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، تقع على ضفة نهرٍ كبير، الحميري ، محمد،**الروض المعطار في خبر الأقطار**،317 .

في طليطلة[1]، فتفرق مُلك الأندلس على يد ملوك الطوائف، حيث بدأ كلّ واحد منهم يطغى على الآخر ويحاول السيطرة على أكبر قدر من الدول[2] .

ساد بين ملوكها التنافس الكبير، والأطماع الشّخصيّة، ونشبت بينهم حروب أهلية، وتفرق شمل الأندلس، وقد وصفها ابن خلدون، فقال: (صار ملكها في طوائف من الموالي، والوزراء، وكبار العرب والبربر، واقتسموا خططها، وقام كلّ واحد بأمر ناحية منها، وتغلّب بعض على بعض واستغلّ أخيراً بأمرها ، ملوك استفحل شأنهم)[3]، وقال ابن عذارى: (فمن هذا التاريخ {422هـ /1030م }) كثرت الفتنة، وتمادى، وانتزى ، كل أحد في موضعه، واستبدّ رؤساء الأندلس، وثُوارها فيما بين أيديهم من البلاد، والمعاقل وبغى بعضهم على بعض، ولله الحول والقوة)[4] .

وتجدر الإشارة إلى أن الأمير عبد الله بن بلقين صوّر الحالة السياسّية السائدة آنذاك بقوله: (وبقي الناس لا إمام لهم، فتنافسوا على الدنيا، وطمع كلّ واحد في الآخر، وكذلك لا يصحّ أمرٌ بين نفسين فكيف سلاطين كثيرة وأهواء مختلفة ؟ ..) ![5] .

---

(1) مدينة في الأندلس، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، مدينة عظيمة القدر كثيرة البشر، وهي مدينة حصينة لها أسوار منيعة، وهي مدينة أزلية من بناء العمالقة، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 393 .

(2) علي ، كرم ، **غابر الأندلس وحاضرها** ، 22 .

(3)ابن خلدون ، عبد الرحمن ، **تاريخ ابن خلدون** ،200/4 ، المقري، أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** 438/1.

(4) ابن عذارى ، **البيان المغرب** ، 152/3 ، حتاملة ، محمد ، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة** ، 456 .

(5) ابن بلقين ، عبد الله ، **مذكرات ابن بلقين** ، 18 .

كان عصر ملوك الطوائف عصراً مليئاً بالفوضى، ويعاني من التمزّق السياسيّ، وضعف التمسّك بمبادئ الإسلام الحنيف[1]، اشتد ملوك الطوائف في سياستهم وتعاملهم مع شعوبهم فأثقلوهم بالضرائب، ولم يكن يردعهم في ذلك رادع دينيّ ولا أخلاقيّ، لذا سخط عليهم كافة الكُتّاب والعلماء.[2]

ونجد ابن حزم قد أعلن موقفه من ملوك الطوائف ، وحكمه عليهم جميعاً، فقال: (كلّ مدبر مدينة أو حصن أو أيّ شيء من أندلسنا هذه أولها من آخرها محارب لله تعالى ورسوله ، وساعٍ في الأرض بفساده)، ولم يكن ابن حزم ليصدر مثل هذا الحكم الشديد إلا بعد دراسةٍ ، وتأنٍّ ، ومعرفةٍ تفصيليةٍ بأحوالهم وأعمالهم، وقد ذكر جانباً مهمّاً، لعلّ أخطرها قوله: (تسليطهم اليهود على قوارع (طرق) المسلمين في أخذ الجزية، والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله عرضها فيها استدام نفاذة أمرهم ونهيهم، والدليل على ذلك أننا نراهم يستمدّون النصارى فيمكنونهم من حُرَمِ المسلمين وأبنائهم، ورجالهم يحملونهم أُسارى إلى بلادهم) [3] .

وأبلغ تعبير عن وصف حال الأندلس عقب قيام دول الطوائف، قول ابن الخطيب : (وذهب أهل الأندلس من الافتراق، والانشعاب، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار، مع امتياز بالمحلّ القريب، والخطة المجاورة لعُبّاد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب ولا في ثروة الغمامة مكتسب، اختطفوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجَبَوْا العملات والأمصار وقدموا القضاة وانتحلوا الألقاب، وكتب عنهم الكُتّاب والأعلام، وأنشدهم الشُعراء، ووقفت بأبوابهم العلماء)[4] .

---

(1)الهرفي ، سلامة محمد ، **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين** ، 44 .

(2) زغروت ، فتحي ، **النوازل الكبرى** ، 433 .

(3) ابن حزم ، محمد ، **التلخيص لوجوه التخليص** ، 16 ، زغروت ، فتحي ، **النوازل الكبرى** ، 434 .

(4) ابن الخطيب ، لسان الدين، **أعمال الأعلام** ، 144 .

اتسمت العلاقة بين ملوك الطوائف، بالعداء والصراعات الدموية التي أدت إلى ضعفها، وقد وصف أحد المؤرّخين هذه الحالة بقوله: (وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المفرقات ، والعشائر المتغايرات)[1] .

أفضت هذه الحالة من الفوضى والتشتّت إلى طمع القويّ بالضعيف، والتفّ كلّ عنصر حول حزبه، متناسين مسؤوليتهم الوطنية،[2] وقد غاب عن ذهنهم أنّ أمامهم عدّواً مشتركاً ، وهو(ألفونسو السادس) ، ملك قشتالة ، الذي كان يتربّص بهم ويحاول التفريق فيما بينهم[3] .

وتجسّدت بذلك العنصرية والطائفية والقبلبة في الأندلس، فحَرَصَ كلّ ملك من ملوك الطوائف على السيطرة على جزءٍ من الأندلس،وتقاسموا ألقاب الخلافة، فهم بذلك كانوا يقلّدون الخلفاء العباسيّين والفاطميّين بألقابهم، فمنهم مَن تَسمّى (المعتضد) ، ومنهم مَن تَسمّى (المأمون)، وآخر (المستعين)، و(المعتمد)، و(الموفق)، وغيرها من الألقاب الخِلافية، التي تعكس حالة التفكّك والضّعف، والانقسام [4] ، وفي ذلك يقول أبو علي الحسن بن رشيق [5] :

مِمّا يُزهِدُني في أرضِ أندلسٍ سَمــاعُ مُقْتَـدرٍ ومُعْتضِـدِ

ألقابُ مَمْلَكَةٍ في غَيْرِ مَوْضِعها كالهِرّ يَحْكِي انتفاخاً صَوْلَةَ الأسَدِ

---

(1) ابن الخطيب ، لسان الدين ، **أعمال الأعلام** ، 144 .

(2) شلبي ، عمر ، **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري** ، 4 .

(3) المراكشي ، محمد ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، 59 ، زغروت ، فتحي ، **النوازل الكبرى** ، 428 .

(4) شلبي ، عمر ، **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري** ، 4 .

(5) كان شاعراً، أديباً، نحوياً، لغوياً، حاذقاً ، عروضياً، ولد بالمحمدية سنة 309هـ/921م، كان كثير التصنيف حسن التأليف، توفي بالقيروان عام 456هـ/1063م، الرومي، ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**،861-862 .

وكان كلّ واحد من هؤلاء الملوك يحاول التوسُّع على حساب الآخر[1]، وفي ذلك الوقت استنجد ملوك الطوائف بأعدائهم النصارى لقتل بعضهم بعضًا، وليحافظَ كلّ واحد منهم على عرشه، فكانوا يقدمون الأموال الطائلة لملوك النصارى، مقابل ما يقدّمونه لهم من مساعدات فأثقلوا الضرائب على رعاياهم من أجل تقديمها لأعدائهم ، فقد استخدم النصارى هذه الأموال في تجهيز الجيوش من أجل السيطرة على الأراضي الإسلامية في الأندلس[2] .

استغّل ملوك النصارى هذه الأوضاع، فكانوا يحصدون الهدايا الفاخرة، ويأخذون القلاع والحصون مقابل ما يقدّمونه من معونات لملوك الطوائف، فكانت هذه الفوضى العارمة، وما تبعها من قتال بين ملوك الطوائف، لصالح النصارى أولاً وأخيراً، فقد وجدوا في ضعف الأندلس وانقسامها فرصتهم الكبيرة، فأخذوا يَشنّون الهجماتِ المحدْدَة في بداية الأمر عوناً لملوك الطوائف، وانتقلوا بعد ذلك من مرحلة الهجمات المحدودة إلى مرحلة شَنّ الحروب الطاحنة مع المسلمين، فاستولَوْا على عدد كبير من المدن الأندلسية[3] .

وتجدر الإشارة أن العداء كان سائداً بين دويلات الطوائف، مما دفع البعض منهم إلى التحالف مع الأعداء من أجل الانتقام من الدويلة المجاورة له. لهذا انعدمت الثقة بين حُكّام الطوائف، لعلم كلّ منهم أنّ الآخر يسعى إلى القضاء عليه إذا وجد الفرصة المناسبة[4] .

---

(1) حتامله ، محمد ، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة** ، 458 .

(2)الهرفي ، سلامة محمد ، **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المراطين** ،44 .

(3) حتاملة ، محمد ، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة** ، 458 .

(4) وات، مونتغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، 103 .

وهذا ما فعله المعتمد بن عُباد حاكم إشبيلية بابن ذي النون لما خَلَعَهُ عن قرمونة ومنّاه بقرطبة، فوثق به ابن ذي النون ، وسلمه قرمونة[1]، فكانت النتيجة أنه خسر قرمونة، وقرطبة[2] ، حتى إنّه لم يكن من المستغرب أن يغدر الولد بأبيه أو يتآمر ضدّه، كما فعل إسماعيل بن المعتضد بن عباد لما تآمر ضد أبيه، وحاول قتله وانتزاع الملك منه، ولكن الوالد نجا من المؤامرة وقتل ابنه[3].

كان هذا الضعف الذي عَمّ أرجاء الأندلس وذلك الانحدار الذي وصلت إلية بمثابة فرصة انتظرها الأمراء النصارى في الشمال، ومع ذلك ظلوا يتقاتلون فيما بينهم بين الحين والآخر[4]، فاستغلّ النصارى هذه الأحداث المؤسفة في بلاد المسلمين، للنيل من الإسلام وأهله في الأندلس، فبدلاً من يعْطُوا الجزية للخليفة أصبحوا هم يطلبونها من ملوك الطوائف، فقد كان حُكّام الثغور في بطليموس،[5] وطليطلة وسرقسطة، أول مَن اتبع ملوك الطوائف[6]، فقد استطاع (ألفونسو السادس) ملك قشتالة، أن ينتزع الجزية من جميع ممالك الطوائف[7]، وكان المعتمد بن عَبّاد أعظم ملوك الطوائف الذين يؤدّون الجزية لألفونسو كلّ سنة [8].

---

(1) هي مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية، وهي مدينة كبيرة قديمة، تقع في سفح عليها سور حجارة من بنيان الأول، ارتفاعه حوالي أربعين حجراً، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**،461 .

(2) قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقرّ خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها كثيرة، فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 456 .

(3) حماده ، محمد، **الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقيا** ، 59 .

(4) وات، مونتغمري ، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية** ، 104 .

(5) مدينة تقع في الأندلس من إقليم ماردة، وهي مدينة حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان، المعروف بالجليقي، وهي مدينة جليلة، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 93 .

(6) ابن عذارى، **البيان المغرب** ، 238،239/3 .

(7)كاكيا ، بير ، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية** ، 104 .

(8) ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان** ، 100/5 .

لجأ كل من ملوك الطوائف إلى التحالف مع الممالك النصرانية من أجل مساعدتهم في البقاء على العرش، فقد تحالف المأمون بن ذي النون ملك طليطلة مع (غرسيه) ملك نيره، ضدّ المقتدر بن هود ملك سرقسطة ، وتحالف المقتدر مع فريدناند ملك قشتالة[1] ، كما تحالف المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية، مع (ألفونسو) ملك قشتالة ، وأعطاه خمسين ألف دينار، مقابل أن يعيّنَه على فتح غرناطة، وصبح ملكاً وذخائر القلعة الحمراء لألفونسو، وفي الوقت نفسه سعى ملك غرناطة عبد الله بن بلقين إلى التحالف مع (ألفونسو)، دفعاً لأذاه ونكايةً في المعتمد [2] .

يتضح ممّا سبق أنّ الأندلس ضعفت بعد انهيار الخلافة الأموية، وذلك بتشكّل الممالك الضعيفة، كما أنّ النصارى استغلُّوا هذا الضّعف محاولةً منهم في استرداد ما فقدوه من أرض الأندلس حسب زعمهم في الماضي، فأعانوا ملوك الطوائف على بعضهم، مقابل التنازل عن بعض المناطق لصالحهم ودفعِ مبالغَ ماليةٍ كبيرةٍ، أو جزيةٍ مقابل الحماية من هجمات الجيران، وكان الهدف من ذلك، إفراغ ما في الممالك الطائفية وما في جيوب الأمراء من الأموال من أجل الاستيلاء على الأرض .

(1) ابن عذارى، **البيان المغرب** ، 3/277-282 .

(2) ابن بلقين ، عبد الله ، **مذكرات ابن بلقين** ، 69 ، 76 .

الأخطار المحدقة بالإسلام في الأندلس :

اجتمعت كلمة جميع ملوك الممالك النصرانية في الأندلس على سحق الدَّويلات الطائفية، بالرغم من أن المسلمين استولّوا على معظم أنحاء الأندلس حوالي أربعمائة عام، فقد كان النصارى يرون أنّ حقوقهم ما تزال قائمة عليها، وأنّ أرض الأندلس ما تزال ملكاً لهم، ويرون بأنهم سوف يستعيدون الأندلس كلها ذات يوم، فكان (ألفونسو السادس) قد رأى أنّ هذا اليوم قد حل[1] .

والذي جعل ملوك الطوائف غنيمةً سهلةً لممالك النصارى، تخاصمهم وتفرقهم، والذي زاد الأمر سوءاً غزوُ النورمان، حيث استولّوا على بربشتر[2] عام 456هـ /1063م ،وارتكبوا بحق أهلها مذبحةً مروّعةً[3]، فقد نزلت قوة كبيرة من فرسان النورمان والفرنسيّين على بربشتر، والتي كانت تخضع ليوسف بن هود فحاصروها، فلم يتحرك أحمد بن هود لنجدة القلعة المسلمة ، حقداً منه على أهلها الذين أعلنوا الولاء لأخيه يوسف ، فوقف يتفرج على الأحداث الدامية ، ولكن النورمان تمكنوا من اقتحام المدينة في آخر الأمر، ولجأ المدافعون المسلمون إلى القصبة لحمايتها، وقتلوا أعداداً كبيرةً من النورمان ،ولم يستسلموا، إلا أنّ أحد الخونة دلّ النورمان على مجرى الماء الذي يَسقِي القصبة[4] فاضطرّ المدافعون المسلمون إلى الاستسلام بسبب العطش وسلّموا المدينة للنورمان بشرط أن يخرج أهلها سالمين ، ولكنهم غدروا بهم وارتكبوا مذبحةً كبيرةً ضد الأهالي، في الوقت الذي كان فيه ملوك الطوائف منشغلين بملاذهم ولهوهم[5] .

---

(1) أشباخ ، يوسف ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، 68 .

(2) هي مدينة في الأندلس ، وحصن على نهر مخرجه في عين قريبة منه، وهي من أمهات مدن الثغر القائمة في الحصانة والإمتاع، الحميري ، محمد ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 90 .

(3) ابن عذارى، **البيان المغرب** ، 238/3 .

(4)حومد ، أسعد، **محنة العرب في الأندلس** ، 102 .

(5)الهرفي ، سلامه محمد ، **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين** ، 43 .

استطاع فرناند ملك قشتالة وليون، أن يوجّه جميع جيوشه لقتال المسلمين الذين لم يكن لهم حَوْلٌ ولا قوةٌ، وهكذا أصبح الفوز حليف المسيحيّين، فقد كان لهم من الروح الحربية ، والحمية القوميّة، والغيرة الدينية مالم تكن عند المسلمين ، فكانت حروب فرناند سريعةً وانتصاراته متلاحقةً ، فانتزع من المظفر ملك بطليموس ، مدينتين ، وأخذ من ملك سرقسطة جميع الحصون ، والمعاقل التي تقع في الجنوب ، وشنّ الغارة على المأمون صاحب طليطلة، وزحف بجيوشه فرأى المأمون أنّ عليه أن يسلم من شرّه فعرض عليه الهدايا، والأموال الطائلة، مقابل أن يبقيَهُ على ملكه، وهذا ما فعله المعتضد أيضاً لكي يسلم من شره[1] .

هاجمت قوات فرناند المنطقة الجنوبية والغربية من مملكة بطليموس، ودارت فيها حروب كانت الغلبة فيها للنصارى، وضاعت الثغور الغربية ووقعت بين يديه[2]، كان أشهرها مدينة قلمرية[3] حيث نزل فيها فرناند حتّى فتحها، وذلك أن قائدها في ذلك الوقت كان عبداً من عبيد ابن الأفطس يُسمّى (راندة)، خاطب فرناند في السّرْ، أن يؤمّنه في نفسه وأهله ويخرج إليه من البلد ليلاً ، فأعطاه فرناند الأمان فخرج سِرّاً إلى عسكر النصارى ، وأصبح أهل البلد وقد استعدوا للقتال ، فقال لهم النصارى:(كيف تقاتلون وأميركم عندنا) فلم يكن لأهل المدينة علماً بذلك، فلمّا علموا صحّة الخبر طلبوا الأمان، ولكن لم يحصلوا عليه

(1) دوزي ، رنهارت ، **ملوك الطوائف** ، 81 .

(2) ابن عذارى، **البيان المغرب** ، 238/3 .

(3) مدينة في الأندلس، تقع على جبل مستدير، لها سور حصين وثلاثة أبواب ، وهي مدينة صغيرة متحضرة، الحميري ، محمد **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 471 .

ودخل النصارى عُنوةً، فقتلُوا الرجال وسَبَوْا النساء، فعاد غلام ابن الأفطس إلى مولاه فوبخه على فعله وأمر بقطع عنقه[1] .

أما عن بلنسية[2]، فقد كانت تعيش في فوضى سياسيّة تحت حكم القادر يحيى بن ذي النون إذ تعرّضت بلنسية لضغط المنذر بن هود، صاحب طرطونه ، ودانية، والجزء الشرقي من مملكة سرقسطة فطلب المساعدة من ألفونسو، والمستعين طلب المساعدة من القمبيطور، غير أنّ المصالح تضاربت بين الحليفين، فاستعان المستعين برامون أمير برشلونه، واستعان القمبيطور بألفونسو السادس فانتصر القمبيطور على رامون ، واستولى بذلك على بلنسية،، وفرض الجزية عليها، وتعهّد بدفع مائة ألف دينار سنوياً مقابل حمايته له، ولكن ألفونسو هاجم بلنسية وسيطر عليها ، وبذلك أصبحت ممالك ملوك الطوائف تحت هجمات النصارى التي أنهكت قوى ملوك الطوائف وأضعفتهم[3] .

سقوط طليطلة :

تعّرضت مدينة طليطلة لهجماتٍ كثيرةٍ في عهد فرناند الأول وابنه ألفونسو السادس، وكان النصارى على علم بأنّ طليطلة واسطة العقد في بلاد الأندلس، فلو سقطت، فمن المؤكّد أن تسقط قرطبة وبطليموس، وغرناطة، وإشبيلية[4] .

---

(1) ابن عذارى، **البيان المغرب** ، 3/238 ،239.

(2) مدينة تقع في الأندلس، بينها وين قرطبة ستة عشر يوماً، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس، تقع على نهْرٍ جارٍ يَسقِي المزارع، وللمدينة أربعة أبواب، الحميري، محمد،**الروض المعطار في خبر الأقطار**، 97 .

(3) ابن عذارى، **البيان المغرب** ، 3/238 ،244.

(4) Provencal, Levi, **Histoire de L Espagne Musulmane**, 288

في عام 454هـ/1062م ، خرج فرناند على رأس جيش قويّ، فدخل طليطلة وخرّبها، فاضطرّ المأمون بن ذي النون إلى الخضوع لمطالب الملك القشتالي، وزيادة مبلغ الجزية الذي كان يدفعه[1] بعد موت المأمون خلفه حفيده يحيى الملقب بالقادر الذي كان قليل الذكاء، حيث عانت طُليطلة في زمنه من الخراب والضعف، وكانت فترة حكمه فترة اختلال وضعف[2]، عندما رأى ملك قشتالة اضطراب المسلمين، واختلاف آراء حُكّامهم وأمرائهم وتشتّتَ أمرِهم أخذ يتطلّع للسيطرة على المناطق المجاورة له، وحاول أن ينتزعَ من أمرائها الحصون والقلاع، والمدن طوعاً أو كرهاً، وركّزَ اهتمامه على مملكة طليطلة المجاورة له، فقد كان أمراؤها قد خضعوا له منذ وقت، وقبلوا بحمايته لهم ودفعوا له الجزية، ولكنه كان يطمع في أكثر من ذلك، فكان يساعدهم تارةً ويكون مع أعدائهم عليهم تارةً أخرى، ليزيد اضطراب أمرهم، وضعفهم[3].

ودخلت قوات قشتالة وليون بقيادة ألفونسو أراضي طليطلة، واستولت عليها دون أن يدافع عنها أحد، لأنّ القادر بن ذي النون ، اعتقد بأنّ ألفونسو قد جاء ليسانده في الدفاع عن بلاده ضدّ الأعداء[4]، وما كان من القادر بن ذي النون إلا أن يلتجئَ إلى ألفونسو، يطلب منه مساعدته فوافق ألفونسو ولكن بشروط، وهي أن يتنازل القادر له عن بعض الحصون الغربية من الحدود وفعلاً أخذ ألفونسو بعض الحصون، وأخذ أيضاً الأموال الباهظة، على الرغم من عدم قدرة القادر على دفعها ولكنه يحتاج مساعدته،([5]) في الوقت الذي استنجد فيه القادر بألفونسو، أمدّه بقوات استعادت طُليطلة عام 474هـ /1081م ، بعد أن

---

(1)حومد ، اسعد ، **محنة العرب في الأندلس** ، 111 .

(2) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، 158/1 ، السامرائي، خليل ، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس** 228 .

(3) ابن بلقين ، عبد الله ،**مذكرات ابن بلقين** ، 76،77 ، حومد ، اسعد ، **محنة العرب في الأندلس** ، 111 .

(4) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، 157/1–161 ، السامرائي ، خليل ، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس** ،228، مؤنس، حسين ، **معالم تاريخ المغرب والأندلس** ، 195 .

5 Provencal, Levi, **Histoire de L Espagne Musulmane**, 288

غادرها ابن الأفطس، ولم تضف سيطرة القادر على المدينة شيئاً جديداً، بل زاد ذلك من ضعفها ، ونتيجة لهذا الحالة ، تشجع ألفونسو على تنفيذ مخطّطه وهو السيطرة على طُليطلة، فبدأ بمحاصرتها عام 477هـ / 1084م، وحاول القادر فكّ الحصار بكافة الطّرق، لكنه فشل في ذلك،[1] واضطر إلى أن يسلّم المدينة، بعد أن تعّهد الفونسو لسكّانها بتأمين أنفسهم وكافة أموالهم، وهكذا سُلِّمت قلعة المدينة ، وكذلك جميع نقاطها الحصينة إلى ملك قشتالة، وتعّهد المسلمون بأن يؤدوا له جميع المكوس التي كانت تُؤدّى إلى بني ذي النون[2] .

وصل وضع ملوك الطوائف إلى درجة أنهم وقفوا موقف المتفرج اتجاه نكبة طُليطلة، وسقوط المدينة المسلمة وضياعها من أيدي المسلمين، فكانوا يطمعون إلى الحصول على رضا ملك قشتالة وسلامة أنفسهم فقط، بالرغم من أنّ ألفونسو كان يعاملهم معاملة الأتباع ويأخذ منهم الأموال الطائلة، تحت مُسّمى الجزية [3] .

دخل ألفونسو السادس طُليطلة سنة 578هـ /1085م ، واحتلها النصارى بعد أن حكمها المسلمون370 عاماً، واتخذها ملك قشتالة حاضرة ملكه، وغدت بذلك عاصمة إسبانيا النصرانية[4].

وبعد أن أخذ ألفونسو طُليطلة من القادر ازداد قوةً إلى قوته، وكان المعتمد بن عَبّاد أعظم ملوك الأندلس من المسلمين، وكان يملك أكثر البلاد، مثل قرطبة، وإشبيلية، حيث كان يدفع كل سنة ضريبة إلى

---

(1) المقري ، محمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 440/1 ، السامرائي، خليل ، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس** ، 229 .

(2) أشباخ ، يوسف ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، 59 .

(3) زغروت ، فتحي ، **النوازل الكبرى** ، 431 .

(4) أشباخ ، يوسف ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، 59،60 .

ألفونسو ، فلما مَلَكَ ألفونسو طليطلة، أرسل إليه المعتمد الضّريبة على عادته، ولكنّه ردّها إليه ولم يقبلها، وأرسل إليه يتهدّده ويتوعَده بأنه سيسير إلى مدينة قرطبة ويتملكها، وأن يسلّمه الحصون التي في الجبل ويبقى السّهل للمسلمين، فأرسل رسوله يخبرهم بذلك، إلا أنّ المعتمد أمر عساكره بقتله فقتلوه،[1] وعندما وصل الخبر لألفونسو عاد إلى طليطلة، وعاد المعتمد إلى إشبيلية[2].

سقوط سرقسطة :

ما إن سقطت طليطلة عام 478هـ / 1085م، حتّى وجّه ألفونسو قواتِهِ ناحية سرقسطة حاضرة المستعين، وضرب الحصار عليها، ضحّى المستعين بكلّ ما يملك من أجل الدفاع عن المدينة وعن أملاكه أمام الهجوم القشتاليّ العنيف، وطرق المستعين كلّ الأبواب من أجل دفع الفونسو وعرض عليه المال الكثير، إلا أنّ النصارى رَفضُوا المال، لأنّ سرقسطة كانت هدفهم، وأصرّ ألفونسو على أخذ المدينة، وأرسل عمالاً في جميع أنحاء سرقسطة، يبلغُّون أنه جاء من أجل تحقيق المصلحة العامة ، وأنه لن يَجنيَ الضرائبَ إلا لما يجيزه الشّرع [3]، استمرّ الحصار على سرقسطة دون فائدة ، حتّى جاء خبر قدوم المرابطين لإنقاذ الأندلس، فما كان من ألفونسو إلا أن يقبل بالجزية التي عرضها عليه المستعين[4].

يتّضح ممّا سبق، أنّ ضعف ملوك الطوائف واستنجادهم بملوك النصارى، كان الدافع الذي ساعد ملوك النصارى بالانقضاض، والسيطرة، على مدن الأندلس، والعمل على إسقاطها واحدةً تلو الأخرى، وأن

---

(1) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ** ،8/ 439 .

(2) نفسه ، 439/8 .

(3) نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 66

(4) نفسه ،66 .

ملوك الطوائف كان همّهم الوحيد هو البقاء على العرش، دون النظر لمصلحة الأندلس فكان استنجادهم بملوك النصارى، الضربةَ القاضيةَ التي ألمت بالأندلس.

الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعية في الأندلس في القرن 5هـ /11م :

كان للحالة السياسيّة السائدة في الأندلس من تفرق الكلمة وكثرة الأطماع، وطمع النصارى بأراضي الدُّويْلات الطائفية أثره السّيّئ على الأوضاع الاقتصادية، وذلك باستنزاف مواردهم المالية عن طريق فرض الضرائب الباهظة عليهم من قِبل ألفونسو، حيث ازدادت مقاديرها بشكل كبير إلى درجة أنّ بعضهم عجز عن أدائها له، بالإضافة إلى المال الذي كان يأخذه منهم مقابل تقديم المساعدة والحماية لهم، فكانت جولاته العسكرية تعود محملةً بالضّرائب[1] .

كان لدى الدولة امكانيات مالية وكانت قادرةً على توفير كافة المصروفات سواء للأمراء أو الجند وللاعمار ، وكذلك لإجازة العلماء وغيرها من المصاريف، لكنّ هذه الأموال وظفت في تعدد بلاطات الحكم ولتحقيق المصالح الشخصية على حساب المصلحة الوطنية العامة. [2].

وفي تلك الفترة كان ملوك الطوائف يدفعون الجزية للنصارى، فكانوا يدفعونها لألفونسو السادس، حتى يحفظ لهم أماكنهم وبقاءهم في الحكم في بلادهم، فكانت سياسة ألفونسو تقوم على أساسين، هما

---

(1) شلبي ، عمر ، **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري** ، 5 .

(2) مصطفى ، شاكر ، **الأندلس في التاريخ** ، 75،76 .

أولاً: إرهاق ملوك الطوائف بالغارات المتواصلة، وثانياً: إرهاقهم بالجزية والأتاوات وبذلك تضعف قوى ملوك الطوائف العسكرية والاقتصادية فلا يستطيعون الدفاع عن بلادهم [1].

لم يكن التمزق الذي حل بالأندلس منذ أوائل القرن الخامس الهجريّ سياسيّاً فحسب ، بل كان تمزّقاً اجتماعيّاً أيضاً، بمعنى أن العناصر المختلفة التي كان يتألف من امتزاجها نسيج المجتمع الأندلسيّ قد عادت إلى التفكّك، أصبح كلَّ عنصر يحاول السيطرة على العنصر الآخر وفرض قوته وقد انحلَّ المجتمع الأندلسي في ذلك الوقت، إلى عناصَر رئيسيّةٍ وهي: العرب، والبربر المستوطنون منذ الفتح، والمولَدون[2].

الحياة العلمية :

بالرغم من التمزّق الذي ساد الكيان السياسيَّ للأندلس في عصر ملوك الطوائف، إلا أنَّ هناك حقيقةً مهمةً ترتبط بهؤلاء الملوك، وهي تعدّدهم واختلاف ميولهم العلميّة والأدبية، فكان الأثر الكبير في النشاط المعرفيّ في العلوم المختلفة، فبرع البعض في الدراسات اللغوية، والبعض الآخر في الأدب والشعر، وآخرون في العلوم البحتة، كما يلاحظ نشاط الرحلات العلمية بين الأندلس والدول الأخرى ، وذلك في سبيل تحصيل العلوم والمعارف[3] .

نجد أنَّ هذا التمزّق الذي وصلت إليه الأندلس ، كان ضربةً قويةً لم تنهض الأندلس من آثارها أبداً، حيث كان بداية عصر الانحلال الطويل الذي بقيت تعاني منه قرابة أربعة قرون أخرى، رغم أنَّ الأندلس

---

(1) العبادي، عبد الحميد، **المجمل في تاريخ الأندلس**، 172.

(2) الجيوسي ، سلمى ،**الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** ، 100 .

(3) مؤلف مجهول ، **الحلل الموشية** ، 36 ، 37 ، المالكي ، محمد ، **المسالك في شرح موطأ مالك** ، 45،46 .

استردت جزءاً من قوتها في عهد المرابطين والموحِّدين، إلا أنها لم تستطع استرداد وحدتها الإقليمية التي كانت من قبل[1] .

وبالرغم من كل ذلك فَثَمَّة حسنةُ يمكن أن نشير إليها لهذه الدويلات المتنازعة، وهي توجّهاتها العلمية، فقد كانت في فترة الحرب الأهلية فيما بينهم، تمتاز بقسط من الرخاء والنشاط العلميّ، علماً أنَّ ملوك الطوائف كانوا طغاةً متسلِّطين في بعض المواقف فمثلاً كانوا متسلطين من ناحية سياسية، وبالرغم من خلافاتهم السياسية فيما بينهم إلا أنهم كانوا من أنصار العلوم والآداب وحماتها، حيث كان معظم الملوك والرؤساء من أكابر العلماء والأدباء والشعراء، وكانت قصورهم منتدياتِ علمٍ ومجامعَ للعلومِ والآدابِ والفنون، وتميّز عصرهم بكثرة العلماء والشعراء المتميّزين[2].

يتَّضح مما سبق أنَّ الوضع الاقتصاديّ، والوضع الاجتماعيّ لم يكونا ، أحسن حظّاً من الوضع السياسيّ، فقد أثر سوء الوضع السياسيّ، وتفكُّك الأندلس بين الأمراء والملوك، على الوضع الاجتماعيّ والاقتصاديّ، وتبين لنا مدى تفكك ملوك الطوائف في كثيرٍ من أمور الحكم، ورغم ذلك كان لهم بعض الصفات الإيجابية من ناحية الحياة العلمية، حيث كانوا داعمين لها بشكل كبير فظهر بعض الحُكّام الشعراء والأدباء، الذين خصَّصُوا في قصورهم مجالس للعلوم والأدب، ويُعدّ ذلك حسنة لا يمكن انكارها لملوك الطَّوائف في تلك الفترة.

(1) عنان ، محمد ، **دولة الإسلام في الأندلس** ، 16.

(2) السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، 250

الجيش المرابطي :

يُعدّ الجيش من أهمّ عناصر الدولة ، فهو المدافع عن الدولة، والحامي لبيضتها، وهو شريان الدولة وعماد قوتها، هدفه الأساسيّ حماية حدود الدولة من أيِّ عداءٍ خارجيٍّ، أومن أيِّ شغبٍ داخلي، ويهدف إلى توفير الأمن والحماية للمواطن، وليس للجيش أيَّ انتماءٍ سياسيّ أو عرقيّ .

نشأة الجيش المرابطيَّ وتطوره :

كانت دولة المرابطين منذ نشأتها دولةً عسكريةً مجاهدةً، واستمرّت كذلك بعد أن توطّدت أركانها واتسعت حدودها ، وازدهرت حضارتها، وتطورت نُظم الحكم فيها، فقد ظلَّت الصِّفة العسكرية تغلب عليها، كما ظلَّ الجيش قوام حياتها[1] .

مَرَّ الجيش المرابطيّ بعدّةِ مراحلَ متميزة، تبعاً لطبيعة دولة المرابطين ومراحل قيامها، وقد جاء هذا الجيش متأثراً بالمؤثّرات الدينية وغيرها، حيث أَفضت العصبية القبلية فيه إلى دور بارز، ولكنها عصبية مقيدة بتعاليمِ الإسلام، وقد جمعهم جميعاً هدفٌ واحدٌ، هو الجهاد في سبيل الله، ونشرُ الدعوة الإسلامية بمنهجٍ جديدٍ[2] .

أول ما ظهر الجيش المرابطيّ كان في فترة رباط عبد الله بن ياسين[3] ، وهو الذي حثَّ على الجهاد، ودعا المرابطين إلى الدفاع عن أراضيهم، فقال لهم: (يا معشر المرابطين، إنكم جمعٌ كثيرٌ وأنتم وجوه

---

(1) العبادي ، أحمد ، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، 104 .

(2) زغروت ، فتحي ،**الجيوش الإسلامية وحركة التغير في دولتي المرابطين والموحدين** ، 59 .

(3) هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير علي بن ياسين الجزولي ، هو الزعيم الأول للمرابطين ، وصاحب الدعوات الإصلاحية عندهم، ابن أبي الزرع ، علي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 78-79

قبائلكم، ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى الصراط المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهَوْا عن المنكر، وتجاهدوا في سبيل الله حقَّ جهاده) [1].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ عبد الله بن ياسين عرف كيف يسمو بالروح الحربية في المرابطين من أنصاره، ولم يصبح القتال في نظره وسيلة الدفاع عن النفس، أو للسّلب أو النهب، بل أصبحت له غايةً ساميةً، هي الدفاع عن الدين، وحمايته بكلِّ الوسائل المتاحة للجهاد في سبيل الله ، بالإضافة لإيمانه الصّادق بالجهاد، فقد عمل على تنظيمِ طُرقٍ حربيةٍ، من أجل الاستعداد للقتال، فقد عمل جاهداً على إيجاد طبقةٍ من الجند لا يعرف الخوف، بل يخوضون المعارك بكلِّ شجاعةٍ وقوةٍ، وكانوا يقفون على أقدامهم صَفّاً بعدَ صفّ، ويختارون الموت على الانهزام، ولا يمكن لهم الفرار من أرض المعركة[2].

لقد أعاد يوسف بن تاشفين[3] تنظيم الجيش المرابطيّ، فقد ضبط عدده وقسَّمهُ إلى فرق وخَصّص لكلِّ فرقةٍ سلاحاً خاصَّاً، كوّن فرقةَ الفرسان من الخَيّالة الزناتيّن، وجعل الإبل تقيم في معسكره حتى إذا اشتدّ القتال في معركة ما سِيقت للحرب، فتُدخِلُ الخوف والرُّعبَ في قلوب الأعداء كما واجه يوسف بهذا الجيش ، العديد من القبائل التي تجمعها كراهية لصنهاجة التي تنتمي إليها قبيلته[4] .

---

(1) ابن أبي الزرع ، علي ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، 125 .

(2) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية** ، 22 ، الناصري ، أحمد ، **الاستقصا** ، 8-10 ، محمود حسن ، **قيام دولة المرابطين** .159

(3) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن منصور الحميري، كنيته أبو يعقوب، هو ملك الملثمين، وهو الذي بنى مدينة مراكش، كان عظيم الشأن، كبير السلطان ،كان حسن السيرة، خيراً، عادلاً،ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ 417،418/10، ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، 113/7 ، ابن العماد، شهاب الدين، **شذرات الذهب**، 427/5 مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 12.

(4) المريني ، عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** ، 25 .

كان من أسباب قوة الجيش المرابطيّ، وجود روح الأُخوة والترابط بين جميع أفراد الجيش، حيث امتلأت قلوبهم، ونفوسهم، بمعنى الوحدة، الذي كان سبباً في إذابة النعرات العرقية، وتكونت جيوش المرابطين من قبائلَ متعددةٍ ومتفرقةٍ، مختلفة في اللون والصفات وما إلى ذلك ، نتج عن هذا التعَددِ والتنوعِ أمةً واحدَةً مترابطة[1]، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[2]، لقد تحلّى الجيش المرابطيّ بهذه الصفة الربانية العظيمة، فقويت رابطة المجاهدين، وجعلتهم صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص في مواجهة أعدائهم[3] .

وبعد التوسُّعِ في الفتوحاتِ الإسلاميةِ في المغرب الأقصى، ومن ثمَّ التوسُّع نحو الأندلس ظهرت الحاجة إلى أسلحةٍ ووسائلِ نقلٍ جديدةٍ، وفنِّ حربٍ مُبتكرٍ لمواكبة تطوَّر الأعداء في تسليحهم وإعدادهم للحرب، وذلك من أجل التفوَّق عليهم، وهكذا ظهرت الأسلحة الثقيلة، والدروع، وتنوعّت وسائل النقل، وبهذا بدأت دولة المرابطين تزيد من قوتها العسكرية، وتعمل على تدريب جيوشها على أحدث أساليب القتال وفنونه[4] .

وكانت وحدات جيش المرابطين في الأندلس موزَّعةً على الولايات الخمس الرئيسيَّة، وهي: قرطبة وغرناطة، وإشبيلية، ومرسية، وبلنسية، يضاف إليها سرقسطة بعد انضمامها للمرابطين، ويُقّدرُ عددها جميعاً بنحوِ سبعة عشر ألف فارس[5] .

---

(1)لمريني عبد الحق، **الجيش المغربي عبر التاريخ**، 26.

(2) الحجرات ، 10 .

(3) Thomron, Ea, **The Golths In Spain**, 165

(4) الطائي عادل ، **الصنوف والخدمات في جيش دولة المرابطين** ، 2 .

(5) العبادي ، أحمد ، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، 107 .

عناصر الجيش المرابطي :

1- **الملثَّمون أو المرابطون** : كانوا النواة الأولى في الجيش المرابطي[1]، وهم ينتمون إلى لمتونه وهم أولاد لمت، وجدالة، وستوف، وينتسبون إلى صنهاجة، وكان زعماء لمتونه ملوكاً لدولة المرابطين[2]، قامت الدولة على أكتافهم، وقد اشتهر الملثّمون بقوة بأسهم في الحرب وكانوا أقوياء في مواجهة العدّو، ولا يخشون شيئاً، وبذلك حقّقوا العديد من الانتصارات، في كثير من المعارك، كما كانوا في معظم قتالهم مترجِّلين عن الخيل يقفون على أقدامهم صُفوفاً متتاليةً[3] .

2- **الحشم** : وهم العنصر الثاني من عناصر الجيش المرابطيّ، لا ينتمون إلى العنصر المرابطي[4]، وكانت من أهمِّ الفرقِ في الجيش، وعُرفوا في الدولة الأموية بأنهم هم الجنود المرتزقة الذين وفدوا على الأندلس من أوروبا وأفريقيا، أما في العصر المرابطيّ، فقد اختلفت الأقوال حول طائفة الحشم والعناصر التي تتألف منها، فقد قِيل: إنهم كانوا عناصرَ مختارةً من قبائلَ مختلفةٍ خارجةٍ عن جماعة المرابطين الأصليين[5]، حيث قال صاحب الحلل الموشية: (عَظُمَ مُلْكُ يوسف بن تاشفين، وضمّ كلُّاً من جزولة، ولمطة، وقبائل زناته وصمودة ، وجموعاً كثيرةً وسمّاهم الحشم)[6].

3- **العرب** : شاركت العناصر العربية الوافدة من الأندلس على المغرب، في الحروب المرابطية في الأندلس، حيث شكّل العرب فرقةً أصبحت من أهم فرق الجيش المرابطيّ، وشاركوا في معارك

---

(1)العبادي ، أحمد ، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، 107 .

(2) مؤلف مجهول ، **الحلل الموشيه** ، 17 .

(3) نفسه، 12-22.

(4) المريني ، عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** ، 25 .

(5) العبادي ، أحمد ، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، 108.

(6) مؤلف مجهول، 21،22 ،العبادي، أحمد ، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، 109 ، نصر الله ، سعدون ، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس** ، 170 .

الأندلس، وهم عناصر محدودة تتكون من العناصر العربية التي استوطنت المغرب فترةُ من الزمن، خاصّةً في سبته وفاس وطنجه، وذلك في عهد الأدارسه [1].

4- **الحرس الخاصّ** : كان يتألف من أشجع الجند، من مختلف الولايات، ويُشترط في قَبولهم أن يكونوا من ذويِ القوام الحسن، والشّجاعة الفائقة، والقوة والبراعة، وجمع يوسف بن تاشفين بواسطة تُجّار الرقيق، عدداً كبيراً من العبيد (الخادم العسكري)، واختار منهم أمهرهم وزّودهم بالسّلاح والخيل ودَربهم على جميع فنون القتال،وأنشأ منهم حرسه الخاصّ [2] .

5- **الصقالبة** [3]: وهم الذين استخدمهم المرابطون في مقاومة الموحّدين – فيما بعد– تحت قيادة شخص مهم يدعى ريفينتر[4]، وقد كان عنده منهم حوالي مئتين وخمسين ، سمّاهم الداخليين[5]، وهؤلاء من النصارى المعاهدين الذين اعتنقوا الإسلام، وكان يوسف يحيطهم بعطفه، وصِلاته ويبذل لمنِ امتاز منهم بالإخلاص والشّجاعة بمختلف الأُعطيات [6] .

---

(1) العبادي ، أحمد ، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، 110، المريني ، عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** ، 25 .

(2) أشباخ ، يوسف ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، 479 .

(3) جيل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من بلاد البلغار، وانتشروا الآن في كثير من شرقي أوروبا، وهم المسمون الآن بالسلاف، مجمع اللغة العربية ، **المعجم الوسيط**، باب الصاد .

(4) المريني ، عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** ، 25 .

(5) مؤلف مجهول ، **الحلل الموشية** ، 21.

(6) أشباخ ، يوسف ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، 114 ،نصر الله ، سعدون ، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**،171.

قادة الجيش :

من الطبيعي أن يحتلَّ قادة الجيش مكانةً مرموقةً في الهرم الاجتماعيّ في دولةٍ اعتمد اقتصادها على موارد الغزو ، فإنّ أهمّ نفقات بيت المال خُصّصَت للجيش، فقد اهتمّ يوسف بن تاشفين منذ اللحظة الأولى بتنظيمه للجيش، من أجل تحقيق مشروعاته، حتّى إنّ عدد الجيش بلغ في عهده حوالي(100ألف) رجل ، ونحن نعلم أنّ معظم الجيش تألف من القبائل الصّنهاجية، لذلك لم يكن غريباً أن يمنحهم الأمراءُ العطايا، ويُوسّعوا عليهم الأرزاق [1] .

وحسب مقولة ابن خلدون : فإنّ حاجة الأمراء إلى صاحب السيف (الجند) ، تشتدّ في بداية الدولة وآخرها، فيكون في أرباب السيف حينئذ أوسع جاهاً، وأقسى إقطاعاً، ولا جرمَ فقد اقتُطِعت لهم الأراضي للانتفاع بريعها، وإذا كانت رواتبهم لا تتجاوز خمسة دنانير شهريّاً، فإنّ من ظهرت قُوته وإعانته، وشجاعته، أكرموه بولاية، موضع ينتفع به، وبهذا فهي إشارةٌ ضمنيةٌ إلى إقطاع الأراضي لقادة الجند، الذين استطاعوا تحقيق انتصاراتٍ عسكريةٍ [2].

أما المكانة الاجتماعيةَ التي تبوأها قادة الجيش، وذلك ما جاء في وصف ابن أبي الخصال، لأحد قادة العسكر بأنه (يد الدولة العزيزة)، كما نعت قائد الأسطول بأنه (من أولياء العزيز، وسيفٌ من سيوفها)، وجرت العادة إلى توجيه رسائل التهاني إلى قادة الجند، نتيجةَ الانتصارات التي حقّقوها[3]، ومن

---

(1) بوتشيش ، ابراهيم ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ، 135،136.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون** ، 57/2 ، بوتشيش ، ابراهيم ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ، 136.

(3) بوتشيش ، ابراهيم ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ، 136.

مظاهر ترفهم إقامتهم في القصورِ، أو البيوتِ الضخمةِ بجوار بلاط الأمير، ولا يختلطون أبداً بعامة الناس، حيث كانت لهم أحياؤهم الخاصّة [1] .

نظام الجيش المرابطي في المعركة :

يقول صاحب الحلل الموشية : (وكان للمتونة في قتالهم في ابتداء أمرهم شِدَةُ وجلدُ، وليس كذلك لغيرهم، وكانوا يختارون الموت على الانهزام، ولا يحفظ لهم فرار من زحف، وكان قتالهم على النجب أكثر من الخيل، وأكثرهم مترجلون على أقدامهم صفوفاً بعد صفّ، يكون بأيدي رجال الصَّفِّ الأول القنا الطِّوال، وكانت لهم راية يُقدّمونها أمام الصّفوف، فهم يقفون ما وقفت منتصبةّ، وإنّ أمالها إلى الأرض جلسُوا فَكانوا بذلك أثبتَ من الهضاب) [2] .

كان من عادات المرابطين الحربية ، أن يسيرَ المنظّمون، كما لو كانوا يتحضّرون لخوض معركة ويلبسون الدُّروع، ويجتمعون للقتال على قرع الطّبول، وأصوات الأبواق، كما كانوا يرسلون الجواسيس ليستطلعوا أخبار العدوّ، ويبنوا قِلاعاً عسكريةً في مواقعَ استراتيجيةٍ،[3] من أجل توفير مناطقَ دفاعيّةٍ، وكانوا قُبيلَ المعركة يتلقْونَ التعليماتِ من القائد الأعلى، وكانوا يسيرون إلى المعركة تَحملُهم الدوابّ، وخلال المعركة يقاتلون أحياناً من فوق الدوابّ، وأحيانا يترجّلون عنها، كما كان المرابطون يعتمدون كثيراً على عنصر المفاجأَة في حروبهم، فكان الجيش ينقضّ على أعدائه ضِمنَ خططٍ ونُظمٍ مرسومةٍ، وكان من عاداتهم أيضاً أن لا يتبعوا العدوَّ المهزوم، حتّى لا يغدرَ به من ورائهم[4] .

---

(1)((بوتشيش ، ابراهيم ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، 136.

(2) مؤلف مجهول ، 11 ، ابن عذارى ، **البيان المغرب** ، 11/4 .

(3) Thomron, Ea, The Golths In Spain, 167

(4) المريني ، عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** ، 26 .

أسلحة الجيش :

أما عن أسلحة جيش المرابطين، فقد كانت في البداية أسلحةً خفيفةً، تتناسبُ مع طبيعتهم الصّحراوية البدوية، مثل الرماح، والمزاريق، والسّيوف، ونوع من الخناجر المُقوّسة، أو المعقوفة يطلقون عليها اسم الأطاس أو الطاس، وهذا النوع من الأسلحة لم يكن معروفاً لدى الإسبان، بدليل أنّ الملك الفُونسو السادس، قد ظنّه مِنجلاً حينما طعنه به في فخذه أحد عبيد يوسف بن تاشفين، في موقعة الزلاقة [1] .

كذلك استخدم المرابطون، الدرق اللمطية، الخفيفة الاستعمال، في تلقّي ضربات العدوّ وسهامه واللمط[2].

لم يكتف المرابطون بهذه الأسلحة اليدوية الخفيفة، بل عملوا على تطويرها، واستخدام كلّ ما هو معروف وشائع من أسلحة هذا العصر، فيروي صاحب الحلل الموشية، أنه لما عزم يوسف بن تاشفين على عبور الأندلس أرسل وفداً إليها بهدف شراء العِدد، واتخاذ السلاح، واختيار الرجال وعُرِفَ عن الأندلسيين أنهم كانوا يُتقنون صنع الأسلحة ، فقد كان لهم مصانع في عدة مناطق في الأندلس[3].

وخاتمة القول: يُعدّ القرن الخامس الهجري في الأندلس، عصرَ تدهورٍ واضمحلالٍ، وتفكّكٍ، فقد سقطت الخلافة الأموية، ونتج عنها مجموعة من الملوك المتخاصمين، وسُمِّي هذا العصر بعصر ملوك الطوائف، إذ كان يحاول كلّ من الملوك والأمراء الحاكمين في الأندلس، السيطرة على أكبر عدد ممكن من الحصون

---

(1) العبادي ، أحمد ، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، 125 .

(2) هو حيوان من فصيلة الظباء يعيش في صحاري إفريقيا، أو أنّ لمطه اسم مكان وقبيلة من قبائل صنهاجة عند السوس الأقصى قرب ساحل المحيط الأطلسي وقاعدتها نول لمطة، الحميري ، محمد ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، 583

(3) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية** ، 24 ، المريني ، عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** ، 27/26 ، العبادي ، أحمد **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ، 126 .

والقلاع والمدن الأندلسية، ونتج عن ذلك تفَككٌ وتدهورٌ في جميع مناحي الحياة في الأندلس ، فقد وصلت الأندلس إلى وضع لم تستطع التخلّص منه ولا التعافي من تبعاته فترةً طويلةً مِنَ الزّمن.

لجأ ملوك الطوائف من شدّة عدائهم مع بعضهم البعض، إلى أن اتحدّ كلّ ملك منهم مع ملوك النصارى لكي يساعدوه في البقاء على العرش، وكانوا يعطونهم مقابل تلك المساعدة الأموال الطائلة والهدايا.

واستغل ملوك النصارى العداء ما بين ملوك الطوائف، وبدأوا يُشنونَ الهجماتِ على المدن والقلاع والحصون الأندلسّية، بحُجة مساعدة ملوك الطوائف، ولكنّ هدفَهم هو امتلاك المدن الأندلسّية، كما أثر سوء الأحوال السياسيّة، وعدم استقرار الأوضاع في الأندلس، على تدهورٍ كبيرٍ في الأوضاعِ والحياةِ الاجتماعيةِ ، وأنشأ المرابطون الجيش أول مرة، على يد عبد الله بن ياسين، فهو أول من دعا المرابطين إلى الجهاد، وأكمل من بعده يوسف بن تاشفين، الذي نظّم الجيش، ورتّب الجند ودرّبهم على القتال، وزوّدهم بالأسلحة.

الفـــصـــــل الثـــــانـــي

التدخل المرابطي في الأندلس

دور العلماء في الحياة السياسّية في الأندلس :

تمّيزت الأندلس بعلمائها، الذين أدّوْا دوراً كبيراً في الحياة العلميةِ والأدبيةِ والثقافيةِ فيها، فهم الذين ساعدوا على تقدم هذه الدولة من خلال علمهم ، فقد عملوا على تقديم الكثير من الإنجازات التي ساعدت على رقيّ الأندلس وتقدُّمها، من خلال نشر العلوم المختلفة ، وإلى جانب دور التعليم كان لهم دورٌ بارزٌ وظاهرٌ بشكل كبير في الحياة السياسيّة، من خلال تحريض الناس على الجهاد ضدّ الأعداء ، خاصّة الجهاد ضدّ الممالك النصرانية .

احتل الفقهاء مكانةً عظيمةً ضمن طبقة الخاصّة ، فهم يُعتَبرون المنظّمين لسياسة الغزوات التي اتبعها المرابطون، وهم العارفون بأحكام الغنائم، والخراج [1] والجزية[2] وغيرها من الأحكام الفقهية وهم الذين يُفتون بشرعيّة توجيهات الأمراء المرابطين، فقد أهّلهم علمهم الشّرعيّ لتصدّر الهرم الاجتماعيّ، إضافة إلى ثرواتهم، واكتسبُوا هذه الثروات بفضل تحالفهم مع النظام المرابطيّ، فعُرف عن يوسف بن تاشفين تعلّقهُ

---

(1) وهو حق يوضع على رقبة الأرض التي غنمت من الكفار حرباً أو صلحاً ويقرون عليه مقابل خراج يؤدونه ، وكل أرض أُخِذت من الكفار عُنوة بعد إعلان الأرض عليهم تعتبر أرضاً خراجيةً، النبهاني، تقي الدين، **النظام الاقتصادي في الإسلام** 242.

(2) هي مال عام يصرف على مصالح الرعية كلهم، وتُستَحقّ بحلول الحول ولا تُستحق قبله، وتُؤخذ من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) مقابل الحماية وجزاءً على الكفر، فإذا أسلموا سقطت عنهم، وتُوضع على الرؤوس لا على الأموال، النبهاني، تقي الدين ،**النظام الاقتصادي في الإسلام** ، 243.

بالفقهاء، فنتيجة لذلك أعطاهم الأرزاق من بيت مال المسلمين طوالَ أيام حياته ، كما أنّ ابنه علياً كان أيضاً شديد التعظيم لهم ، يقربهم إليه ويكرمهم [1].

ازدادت مكانة العلماء في القرن الخامس الهجريّ نتيجة حاجة ملوك الطوائف إلى تدعيم نفوذهم وسلطانهم ، فكانوا بحاجة إلى القوة الروحّية التي تتمثّل في رجال الدين من الفقهاء والعلماء وكان العلماء في هذا العصر أكبرَ مساند لأمراء الطوائف في تبرير سياسيتهم وظلمهم للرعيّة فيخدمون هذا الأمير أو ذاك من أجل الحصول على النفوذ والمال، ويضعون فتاويهم الفقهية في خدمة أمراء الطوائف تأيداً لظلمهم،[2] صوّر ابن حزم هذا الواقع، فقال:(لايغرنّكم الفُسَّاق المنتسبون إلى الفقه، واللابسون جلود الضّأن على قلوب السّباع، المزّينون لأهل الشّرذ شرّهم، الناصرون لهم على فسقهم)،[3] وفي عهد المستكفي بالله[4] تولّى كثير من الفقهاء الخطط المختلفة، فشغل بعضهم خطة الوزراة، وكذلك بالغ في ترقية أصاغر الطبقة الفقهية لمنزلة الشورى.[5]

لكن بعض العلماء والفقهاء رفضوا إعانة ملوك الطوائف على ظلمهم للناس، فرفضوا تولّي المناصب احتجاجاً على الفوضَى السياسيّة والأخلاقية التي كان يعيشها الحُكّام، وقد عَرّض قسم من أولئك العلماء أنفسهم لغضب الحُكّام وانتقامهم[6].

---

(1) بوتشيش ، ابراهيم ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** ،143

(2) شلبي، عمر، **دور العلماء في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري**، 5

(3) ابن حزم، علي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، 173/3

(4) هو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الناصر ، ثار على ابن عمه المستظهر، كان أحمق قليل الذكاء، بويع له وعمره 48سنة، وحكم سنة وشهراً، الذهبي، شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، 397/17.

(5) شلبي، عمر، **دور العلماء في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري**، 5

(6) نفسه، 5

ونجد أيضاً محمد بن حزم،[1] وقد وقف موقف الرافض لسياسة ملوك الطوائف، ورفض التبعية لهم وأبدى حزنه لما آلت إليه أوضاع الأندلس، بسبب قيام ملوك الطوائف بالسعي وراء تحقيق المصلحة الذاتية من غير اعتبارٍ للمصلحة العامة أو مصلحة الدين، فقد أقسم ابن حزم بالله، فقال:(إنّ هؤلاء الملوك لو علموا أنّ في عبادة الصّلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها)، وقوله هذا نابع من رؤيته مدى حرص هؤلاء الأمراء في البقاء على كراسيّهم، فقد ضَحَّوْا بالدين والوطن، وسَعَوْا وراء الدنيا، فقد أعَطوْا النصارى كثيراً من بلاد المسلمين [2].

دور العلماء في التحريض على الجهاد :

ارتبطت فريضة الجهاد منذ البداية بالتحريض على القتال[3]، يقول الله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) [4].

تُعدّ ظاهرة التحريض على القتال نوعاً من أنواع الجهاد، وعَدّ علماء الأندلس أنّ محرّضاً واحداً خير من مئة مقاتل، واستخدموا في التحريض أسلوب الخطابة والشعر، فنظمْوا القصائد الشعريّة الجهاديّة، حيث كانت القصائد ذات أثرٍ كبيرٍ في استنهاض هِمم الناس، وتشجيعهم على الجهاد، لذا كان الحُكّام يدفعون

(1) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد، أصله من الفرس، كان حافظاً، عالماً بعلوم الحديث، وفقيهاً مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسّنة، ومن أهم كتبه: كتاب الإيصال إلى فهم كتاب الخصال، وهو جامع لجمل شرائع الإسلام الضبي، **بغية الملتمس**، 543/2

(2) ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، 176.

(3) ابن العربي، محمد ، **أحكام القرآن**، 2/ 428

(4) الأنفال، 65

العلماء لمرافقة الجيوش من أجل قول الشعر ومساندتهم وتحريضهم على القتال، وبهذا احتلّ الشّعر مكانةً كبيرةً في نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم، وبهذا كان صوت العلماء بشِعرهم يُعَبِر عمّا يدور في وجدان الأندلسيّين، ويُعبّر عن ظروفهم الصّعبة، وكان شعرهم يصل إلى جميع الناس يدعوهم للجهاد حتى لا تضيع بلاد الأندلس بأيدي النصارى [1].

ومن طرق التحريض عند العلماء أيضاً، تأليفهم كتباً تتعّلق بالجهاد في الإسلام، مثل كتاب (الترغيب في الجهاد) لأبي عبد الله التجيبيّ،[2] (ت610هـ/1213م)، يحتوي على خمسين باباً

وكتاب (بُغية المرتاد بسنّة الجهاد) لأبي القاسم بن الطيلسان،[3] (ت642هـ /1244م)، كان هدف العلماء من وراء تأليف الكتب والمُصنّفات، هو تحريض الناس على الجهاد في سبيل الله وتذكيرهم بواجب النهوض به من أجل الدفاع عن بلادهم [4].

ونجد أنّ الفقيه الكاتب ابن عبد البر[5] كتب رسالة على لسان أهل مدينة بريشتر عندما سقطت بأيدي النصارى عام (456هـ/ 1063م)، حيث وجهها إلى المسلمين في الأندلس من أجل تحريضهم على

---

(1) أبا الخيل، محمد، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى**، 157، 160.

(2) هو المحدث محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي، برز في علم الحديث، توفي عام 610هـ /1213م، المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 160/2،161 .

(3) هو أبو القاسم بن طيلسان، القاسم بن محمد بن أحمد الأنصاري الأوسي، من أهل قرطبة، ولد سنة 575هـ/1179م برع في علم الحديث وعلوم أخرى، تُوفيّ سنة، 642هـ/1244م، التنبكتي، أحمد، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،361.

(4) هيكل ، محمد ، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية** ، 832،842/2 ، أبا الخيل ، محمد ، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى** ، 159.

(5) هو أبو محمد عبد الله بن الفقيه أبو عمر بن عبد البر النمري، وهو من الكُتّاب المشهورين، كتب للأمراء، تولّى الوزارة، تُوفيّ سنة 474هـ / 1081م ، ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 3 /125 .

القتال، ونصرة إخوانهم المسلمين، إذ يصف في الرسالة حال المسلمين، وما عانوا به من الذلّ والهوان،[1] فيقول: (فالجوامع والصّوامع بعد تلاوة القرآن، وحلاوة الآذان، مطبقة بالشرك والبهتان، مشحونة بالنواقيس والصلبان، عوضاً من شيعة الرحمن..)، ثمّ يختم رسالته بالدعوة للجهاد ونصرة الدين فيقول:(فالله في إجابة داعينا وتلبية منادينا، قبل أن تصدع صفاتنا كتصدّع الزجاج، فهناك لا ينفع العلاج..)[2].

ثم يوجه الفقيه نداءً إلى الحُكّام، يدعوهم إلى الجهاد والدفاع عن أرضهم، فقال : (وقد ندب الله مسلمي عباده إلى الجهاد في غير ما آيةٍ من الكتاب، يضيق عن نَصّها الخطاب، ترغيباً وترهيباً، فوعد المطيعين جزيل ثوابه، والعاصين أليم عقابه، والرواية عنه عليه السلام في فضل الجهاد، وما يجازي فيه ربّ العباد، أشهر من أن أتذكر، وأكثر من أن تُحصر..)[3].

ولابن طاهر القيسي[4] رسالة وجّهها إلى بعض الرؤساء في الحضّ على الجهاد، فيقول :(وقد تعين البدار على رئيس ومرؤوس، ولزم الجهاد كلّ شريف ومشروف، وقبيح على المسلم أن يحلّ أزراراً ويسوّغ من الكرى غراراً، وإخوانه المسلمون بين مشدود بالإسار، أو جزر النيوب والأظفار..)[5].

---

(1) القيسي ، فايز ، **أدب الرسائل في الأندلس** ، 178،179.

(2) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ،3/ 177،178.

(3) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 177/3 ، أبو ندى، محمود، **الدور الجهادي للعلماء في الأندلس**،69.

(4) هو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر القيسي، عالم وأديب ، من بيت علم وفقه، ووالده كان من أكابر علماء عصره، ومن أغزرهم أدباً وعلماً، تُوفيّ سنة 805هـ / 1402م، ابن خاقان ، **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، 56 .

(5) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 88/3.

ومن تحريض العلماء على الجهاد في الدروس والخطب، ما ذُكر عن ابن رشد الحفيد،[1] فقد قال أحد طلابه : (سمعتُ كلامه بالمسجد الجامع في قرطبة، وهو يحضّ الناس على الجهاد والغزو في سبيل الله، ويورد ما جاء في فضله في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله – صلّى الله عليه وسلّم– بلسان طلق، مستحسن، قال: وخرجنا معه يوم ورود خبر بهزيمة الروم على حصن الأركة..فلما اجتمعنا مع الواصلين به شاهدنا عندهم علامات العداة منكوسة، سجد القاضي شكراً وسجدنا جميعاً)[2].

ومن العلماء والأدباء أيضاً، أبو حفص الهوزني،[3] حيث كتب إلى المعتضد رسالة يحثّه فيها على الجهاد، فيقول:

أَعَبَّادُ جلَّ الرُّزْءُ والقَوْمُ هُجَّعٌ على حالةٍ ما مِثْلُهَا يُتَوَقَّعُ

فلقِّ كتابي من فراغِكَ ساعةً وإنّ طالَ فالموصوفُ للطُّول مَوْضِعُ

إذ لم أَبُثَّ الدّاءَ رَبَّ نَجاحِهِ أَضَعْتُ ، وأَهلٌ للمَلام الُمضَيِّعُ [4]

ما ورد سابقاً عن دور العلماء في التحريض على الجهاد، لم يكن إلا نبذةً بسيطةً عن بعض هؤلاء العلماء والأدباء، فثمةَ العديد ممّن حرضوا على الجهاد من خلال كتاباتهم التي وجّهوها إما إلى الأمراء والملوك أو

---

(1) هو أبو الوليد محمد بن أحمد ابن العلاّمة المفتي بن رشد القرطبي ، تفقه وبرع بالحديث، وأتقن الطب وأقبل على الكلام والفلسفة. تُوفيّ سنة 595هـ /1198م، ابن تغري بردي، يوسف، **النجوم الزاهرة**، 154/6 ، الدمشقي، شهاب الدين، **شذرات الذهب**، 320/3.

(2) الغامدي، خالد، **الصراع العقائدي في الأندلس**، 542،541.

(3) هو عمر بن حسن الهوزني، عالم مُحّدث، رحل إلى المشرق خوفاً من ابن عباد، طلب العلم هناك، كان يقرأ صحيح البخاري ومسلم لأهل الأندلس، خدم المعتضد بن عباد فقتله سنة 460هـ/1067م ، ابن سعيد، علي، **المُغرب في حلى المغرب** 240،239/1.

(4) ابن سعيد، علي، **المُغرب في حلى المغرب**، 1 /240،239 ، الغامدي، خالد، **الصراع العقائدي في الأندلس**، 537.

إلى الشعب، فنستخلص ممّا سبق أنّ هذه الكتاباتِ والخطاباتِ كان لها صدًى كبيرٌ، وأثرٌ واضحٌ في شحذ همِ الشّعب الأندلسيّ، وإصرارهم على الدفاع عن أرضهم ضدّ الأعداء.

الدعوة لتوحيد ملوك الطوائف :

سعى مجموعة من العلماء إلى توحيد كلمة أمراء الطوائف، ودعوتهم إلى إدراك خطورة ما تمرّ به الأندلس، وبينوا لهم مدى خطورة تصرّفاتهم وما سينتج عنها من أثر خطير على مستقبل الإسلام في الأندلس،[1] فبدأت دعوة العلماء إلى التوحّد بعد أن تبين عجز ملوك الطوائف عن حماية المسلمين والتصدّي للنصارى وهجماتهم المتتالية على الأندلس[2].

نجد أنّ أبا بكر بن إسحق،[3] تطوّع في إزالة الخلافات بين ملوك الطوائف وجمع كلمتهم فحظي بمكانة، لدى ملوك الطوائف، وكان له عند ملوك الأندلس مكانة كبيرة يستطيع من خلالها تسكين ما ينبعث لبعضهم مع بعض أيام الفتنة[4].

ورغم كلّ دعوات الوحدة التي دعا إليها وبذلها بعض الفقهاء، إلا أنّ أغلب الملوك قد صَمّوا آذانهم، وأضاعوا فرصة الاتّحاد والتضامن مع بعضهم البعض، فحدثت كارثة طليطلة، فبدأ العلماء بالمطالبة بالوحدة والجهاد[5].

---

(1) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 95/1 ، بن بيه، محمد، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين** 117.

(2) شلبي، عمر، **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري**، 6.

(3) هو محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن إسحق بن عبد الله بن مهلب، من أهل قرطبة، كان من أهل الكتابة والبلاغة ضابطاً مقيداً شديد العناية بالرواية ، تُوفيّ سنة 450هـ/ 1058م، ابن الآبار، محمد ، **التكملة لكتاب الصلة** 315/1.

(4) ابن الآبار، محمد، **التكملة لكتاب الصلة**، 315/1.

(5) شلبي، عمر، **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري**، 6.

ومن أبرز العلماء الذي سَعَوْا في هذا الطريق، العالم أبو الوليد الباجي،[1] حيث رفع صوته ومشى بين ملوك أهل الجزيرة يدعوهم إلى الوقوف ضدّ الممالك النصرانية، فكان كلّما ذهب إلى ملك من الملوك، أبدى له في ظاهره أنه يؤيده في كلامه وأنه سيفعل ما يقول له ويرحّب به، إلا أنه في باطنه لا يؤيد كلامه، ولكنّ الفقيه أبا الوليد كان فطناً لدرجة أنه كان يعلم نواياهم، ولكنه من دعوته تلك كان يرجو أن يتّبعوه ويؤيدوا كلامه [2].

وأشار المقري إلى ذلك بقوله: (ولما قدم من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثةَ عشرَ عاماً، وجد ملوك الطوائف أحزاباً متفرقةً، فمشى بينهم في الصلح، وهم يجلّونه في الظاهر، ويستقتلونه في الباطن..)[3].

تبين لنا أنَ الباجي هو الذي وهب نفسه للذهاب إلى ملوك الطوائف، من أجل دعوتهم إلى الوحدة، إلا أنّ جولاته لم تحقّق أي هدف، ولكنه بدعوتهم استطاع أن يشعرهم بالمسئوليات الدينية والوطنية الملقاة على عاتقهم، وأوضح لهم ضرورة تغيير تصرفاتهم والسعي وراء قتال العدوّ النصرانيّ[4].

اندفع الباجي في الدعوة إلى وَحدة أمراء الطوائف وتقريب وُجهات النظر بينهم، وكان سعيه في الوحدة نابعاً من دافعٍ وطنيٍّ ودينيٍّ، حيث وجد أنّ أمراء الطوائف لا يهتمّون سوى في مصالحهم الذاتية ولا يهتمّون بالوطن، بعد ذلك بدأ بعض أمراء الطوائف يستشعرون الخطر الحقيقيّ الذي يحيط بهم، ومن هنا

---

(1) هو سليمان بن خلف بن سعد بن وارث الباجي، فقيه، متكلّم، أديب وشاعر، درس الكلام وصنّفه إلى أن مات، كان جليلاً رفيع القدر، تُوفيّ سنة 426هـ/1035م،المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 67/2.

(2) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 95/1

(3) المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 292/2

(4) نفسه ، 287/2

بدأت دعوة الباجي الرسميّة، فقد أُرسِلَ سفيراً لبعض الأمراء يدعوهم إلى الوحدة ولكن تُوفيّ قبل أن يكمل مسيرته[1].

كانت الدعوة إلى الوَحدة تهدف إلى إيجاد قواسمَ مشتركةٍ بين أمراء الطوائف، ونتج عن الجهود التي بذلها العلماء من أجل الوحدة، تكوين رأي عامّ لدى المسلمين في الأندلس للمطالبة بالوحدة والتضامن بين أمراء الطوائف من أجل التصدي للأخطار والدفاع عن بلادهم، وألحّ الناس على هذه الوحدة وبالتالي ظهرت استجابة ملوك وأمراء الطوائف نتيجة لذلك.

معارضة ملوك الطوائف ونقدهم:

من بين العلماء الذين وجهوا اللوم لملوك الطوائف، أبو حزم الأندلسي، حيث بيّنَ لهم أوجه فسادهم وخضوعهم للنصارى، وقيامهم باضطهاد رعاياهم، ووصفهم بأنهم محاربون لله تعالى، وفاسدون لأخذهم أموال رعاياهم، وذلك عن طريق الضرائب التي يفرضونها عليهم[2].

وأوضح أنّ الغاية الرئيسيّة لملوك الطوائف هي رعاية مصالحهم الخاصّة، وتفضيلها على مصالح رعاياهم، فقال: (والله لو علموا أنّ في عبادة الصلبان تمشيةَ أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدّون النصارى، فيمكّنونهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أُسارى إلى بلادهم ... وربّما أعطَوْهم المدن والقلاع فأخلَوْها من الإسلام وعمروها بالنواقيس)[3].

---

(1) شلبي، عمر، **دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس الهجري**، 8.

(2) ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، 173/3.

(3)نفسه، 175/3.

وقد وجه ابن حيّان نقده إلى الأمراء والفقهاء الذين ابتعدوا عن الطريق الصّحيح، وتوجهوا نحو النزاع والفرقة، فيقول: (ولم تزل آفة الناس منذ خُلِقَوا في صنفين منهم، هم كالملح فيهم الأمراء والفقهاء... فقد خصّ الله تعالى هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا، فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذياداً .. عن الجماعة، وحوشاً إلى الفرقة والفقهاء أئمتهم صموت عنهم ..)[1].

وإبراهيم بن فرقد[2] العَلّامة الشاعر ، يستثير عواطف المسلمين برسالةٍ أدبيةٍ تفيض حُزناً فيقول:

ألا مُسْعِدٌ مُنجزٌ ذو فِطَن يبكي بدمعٍ مَعِين هَتِن

جزيرةَ أندلسٍ حسرةً لا غالب من حقود الزَّمن

ويَنْدُب أطلالها آسِفاً ويَرْثي من الشِّعر ما قد وَهَن[3]

خلاصة القول، تبين أنّ العلماء والفقهاء أدوا دوراً بارزاً وكبيراً في تحريض الناس ودعوتهم للدفاع عن بلدهم ضدّ النصارى، ويتّضح من خلال دعوتهم تلك، أنهم أوضحوا جوانب الفساد التي كانت سائدة بين ملوك الطوائف، فقد تسبّب هذا الفساد في سقوط العديد من المدن والمناطق الأندلسية في أيدي النصارى، ولكن بعض الفقهاء نجحوا في تحريك همم بعض الأمراء والملوك من أجل تغيير سياستهم الفاسدة القائمة على تفضيل المصالح الشّخصيّة على مصلحة رعاياهم، ومن خلال ذلك تبين لنا الدور الكبير الذي قام به الفقهاء في الحياة السياسيّة في الأندلس.

---

(1) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 3/181،180.

(2) هو الإمام المحدث الفقيه الشاعر الكاتب أبو اسحاق ابراهيم بن خلف بن محمد بن فرقد القرشي، سكن اشبيلية، توفي عام 572هـ/ 1176م، ابن الآبار، محمد، **التكمله لكتاب الصله**، 131.

(3) ابن الخطيب، لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، 1/375، الغامدي، خالد، **الصراع العقائدي في الأندلس**، 539.

استدعاء المرابطين للأندلس :

بعد أن قدّمَ العلماء دوراً كبيراً في تحريض أهل الأندلس وتحريض أمراء الطوائف على الدفاع عن الأندلس، وبعد أن أوضحوا لهم نتيجة سياستهم الخاطئة التي ساعدت ملوك النصارى وأمراءهم على إسقاط المدن الأندلسيّة واحدةً تلو الأخرى، تيقّظت عقول هؤلاء الأمراء، وبدؤوا يفكّرون بجديةٍ بضرورة التصدّي لهذا الوضع السّيئ الذي وصلت إليه الأندلس، فما كان منهم إلا أن فكّروا بالاستعانة بأحد يساعدهم على التصدي للنصارى، فوقع اختيارهم على حُكّام المغرب الذين ذاع صيتهم بالشّجاعة والقوة.

وبعد سقوط طليطلة أفاق ملوك الطوائف من غفلتهم، وأدركوا مدى خطورة الموقف، وأدركوا أنهم يسيرون في طريق الضلال، حيث رأوا أَنّ الوضع خطير للغاية، خاصّة بعد تحوّل مملكة قشتالة وليون بعد استيلاء ألفونسو عليها إلى أكبر دولة في شبه الجزيرة، وأصبح حجمها يعادل ثلاث مرات حجمها الأول، ودخلت قواتها قورية[1] والأشبونة وشنترين،[2] ثمّ بدأ ألفونسو يستعدّ للاستيلاء على بطليموس وإشبيلية، ولم يعد يقتنع بالإتاوات التي كان يؤديها أمراؤها إليه، ونتيجة لهذه الظروف اضطُرّ ملوك الطوائف إلى طلب النجدة من حُكّام المغرب، رغم أنهم كانوا غير مقتنعين بذلك إلا أنّ رعاياهم أجبروهم على الاستعانة بهم ونجدة الأندلس[3].

(1) هي مدينة أندلسيّة قريبة من ماردة، لها سور منيع، وهي مدينة واسعة الفناء، وهي من أحصن المعاقل وأحسن المنازل، تشتهر بزراعة العنب والتين،الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 485.

(2) هي مدينة أندلسيّة، تقع على جبل عالٍ جداً، لها سور عظيم، ولها بساتين كثيرة وفواكه، وفيها نهر عظيم يسقي الزرع وهي من أجمل بقاع الأرض، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 346.

(3) مؤنس، حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، 195، الأشتر، صالح، **معارك حربية فاصلة**، 13.

بدأت استغاثات أهل الأندلس تصل إلى حُكّام المغرب،[1] ووصلت هذه الاستغاثات إلى يوسف بن تاشفين، حيث بدأت الرسائل تتوافد من ملوك الطوائف إلى يوسف بن تاشفين، فقد كانت تحتوي على عبارات تحض على الجهاد، وتطالبه بالعون والمساعدة، من أجل التصدّي للخطر الذي أصبح يُهدّد الوجود الإسلاميّ في الأندلس، خاصّة بعد سقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس، كما أن ملوك النصارى وأمراؤهم كانوا يهينون المسلمين، ويهددونهم بأنهم سوف يطردونهم من الأندلس[2].

يقول المقري: (وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء، ناشدين بالله والإسلام، مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته، فيسمع إليهم ويصغي لقولهم وترق نفسه لهم)[3].

من بين المراسلات التي وصلت إلى يوسف بن تاشفين، ما كتبه أبو عبد الله بن أيمن[4] على لسان المتوكّل بن الأفطس، افتتح ابن أيمن رسالته بمدح يوسف بن تاشفين، وذكر فضائله، وغِيرته على الدين، وهو بذلك يُحرّك عزيمته وقوته، فقال: (لما كان نور الهدى أيدك الله، دليلك، وسبيل الخير سبيلك، ووضحت في الصباح معالمُك، ووقفت على الجهاد عزائمُك، وصحّ العلم بأنك لدعوة الإسلام أعزّ ناصرٍ،

(1) القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى**، 258/5.

(2) القيسي، فايز، **أدب الرسائل في الأندلس**، 182.

(3) المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 359،360/4.

(4) هو أبو عبد الله محمد بن أيمن ، كان عالماً في النظم والنثر، اشتهر بحمله للأقلام، وكان وزيراً للمتوكل ، ابن بسام علي، **الذخيره في محاسن أهل الجزيرة**، 652/2.

وعلى غزو الشّرك أقدر قادر، وجب أن تُستدعَى لما أعضل من الداء، وتُستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء ...) [1].

وذكر المقري أنّ ألفونسو لما ملك طليطلة أرسل إليه المعتمد الجزية التي يدفعها له سنوياً، ولكن كان متأخراً عن موعده لانشغاله، فلم يقبلها منه، وهدّده بأنه سوف يأخذ منه الحصون المنيعة وأغلظ ألفونسو بالحديث مع المعتمد، كما طلب منه أن يسمح لزوجته بأن تلد في جامع قرطبة زاعماً أنّ القساوسة أشاروا عليه بذلك، وأرسل سفيره ابن شاليب اليهوديّ، ولكن المعتمد رفض كلّ ما طلبه منه ألفونسو، وأغلظ اليهوديّ في الحديث حتّى أمسك المعتمدُ محبرةً وضربها في رأس ابن شاليب فقتله وصلبه في قرطبة[2].

ولما بلغ لألفونسو ما فعله ابن عَبّاد، أقسم بأن يغزوَهُ في إشبيلية، وأن يحاصره في قصره، فأعد جيشين، فسيّر أحدهما على باجة، وسار ألفونسو مع الجيش الآخر في اتجاه غير الذي سلكه الجيش الأول، وعاثوا في البلاد خراباً[3]، وكتب ألفونسو إلى ابن عَبّاد قائلاً: (كثر بطول مقامي في مجلسي الذباب، واشتدّ عليّ الحرّ فأتحفي من قصرك بمروحة أروِّح بها عن نفسي وأطرد الذباب عن وجهي) فردّ عليه ابن عَبّاد قائلاً: (قرأتُ كتابك وفهمتُ خيلاءك وإعجابك وسأنظر لك في مروحة من الجلود اللمطية، تُروّح منك لا تروح عليك إن شاء الله تعالى)[4].

---

(1) ابن بسام، علي، **الذخيره في محاسن أهل الجزيرة**، 2/ 654 ، القيسي، فايز، **أدب الرسائل في الأندلس**، 182،183

(2) المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 4/359،358 ، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 25،26 ، حسين، حمدي، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، 52،53، موسى، محمد، **استجابات إسلامية لصرخات أندلسية**، 68.

(3) Constable, Olivia, **Trade and Traders In Muslim Spain**, 245.

(4) المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 4/358 ، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 2/35 موسى، محمد **استجابات إسلامية لصرخات أندلسية**، 69 ، أبو خليل، شوقي ، **الزلاقة**، 35 .

فما كان من ابن عَبّاد إلا أن بدأ بمراسلة ابن تاشفين، وانتشر هذا الخبر بين أهالي الأندلس ففرحوا واستبشروا خيراً، إلا أنّ بعض ملوك الطوائف راسلوه وحذّروه من عاقبة الاستنجاد بيوسف بن تاشفين وأنه سيقضي عليهم وسيسيطر على مدنهم، فأجابهم ابن عَبّاد بقوله: (رعي الجمال خير من رعي الخنازير)، معنى كلامه: أي أن أكونَ أسيراً لابن تاشفين أرعى جماله، خيرٌ من أن أكونَ أسير ألفونسو أرعى خنازيره[1].

نجد أن موقف ابن عَبّاد هذا، يُجسّد مدى انحيازه للإسلام ومصلحة المسلمين قبل تحقيق المصالح الشّخصيّة، فيدل موقفه على مدى حبّه للإسلام والمسلمين.

أرسل ابن عَبّاد لابن تاشفين العديد من الرسائل ، فخطّ له رسالة إفتتحها بوصف ما أصاب الأمة الإسلامية في الأندلس من فُرقةٍ وخلافٍ وضعفٍ، فيقول: (إنا نحن العربَ في هذه الأندلس، قد تَلِفت قبائلنا، وتفرّق جمعُنا ، وتغيّرت أنسابُنا، بقطع المادة عنّا عن مُعيننا، فصرنا شعوباً لا قبائل، أشتاتاً لا قرابة ولا عشائر.. توالى علينا هذا العدوّ المجرم اللعين أذفونش.... وأسرَ المسلمين وأخذ البلاد)،[2] ثمّ ينهي رسالته يطلب منه نجدة المسلمين قائلاً: (وأنت أيدك الله ملك المغرب أبيضه وأسوده... نزعتُ بهمّتي إليك، واستنصرتُ بالله ثمّ بك، واستغثتُ بحرمكم لتجوز لجهاد هذا العدوّ الكافر، وتُحيوا شريعة الإسلام، وتذبّوا عن دين محمّد..)[3].

---

(1) المقري، أحمد، **نفح الطيب**، 359/4 ، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 27 ، موسى، محمد، **استجابات إسلامية لصرخات أندلسية** 69،70، حسين، حمدي، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، 54 .

(2) المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 359/4 ، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 29، الناصري، أحمد **الاستقصا**، 35،36/2.

(3) مؤلف مجهول، **الحلل الموشيه**، 31 ، القيسي، فايز، **أدب الرسائل في الأندلس**، 184

عقد بعض ملوك الطوائف، ومنهم: المعتمد بن عَبّاد، والمتوكّل بن الأفطس، وبعض الوزراء والقضاة والفقهاء مؤتمراً، وقرّروا إرسال وفدٍ إلى المغرب لكي يطلب المساعدة من ابن تاشفين، وعند توجّه الوفد إلى المغرب، كان ابن تاشفين يستعدّ للجهاد في الأندلس بناءً على الرسائل والاتصالات التي وصلت إليه سابقاً[1].

وصل الوفد إلى ابن تاشفين وكان يتكون من : قاضي بطليموس أبي إسحاق بن مُقانا، وقاضي غرناطة القليعي،[2] وقاضي اشبيلية أبي بكر بن أدهم،[3]والوزير أبي بكر محمد بن زيدون،[4] فعندما وصل الوفد كان ابن تاشفين في سبتة[5] يستنفر قواته للجهاد، ويطلب المزيد منهم، فجرت مفاوضات بينه وبين أعضاء الوفد، واتفق الطرفان على خطّ سير الجيوش المرابطية، وعلى المساعدات التي سيقدمها ملوك الطوائف لهؤلاء الجيوش[6].

أطلع ابن تاشفين حاشيته على المحادثات ورسائل الاستنجاد التي وصلت إليه من الأندلس لاستشارتهم في الأمر، كما استشار يوسف بن تاشفين كاتبه ووزيره عبد الرحمن بن أبسط، فنصحه بأن يتسلّم الجزيرة

---

(1) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 2/ 35،38.

(2) هو أحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغساني، يعُرف بابن القليعي، من أهل غرناطة، ويُكنّى أبا جعفر، ابن بشكوال **الصله**،118/1.

(3) هو عبيد الله بن محمد بن أدهم، من أهل قرطبة، ويُكنّى أبا بكر، استقضاه المعتمد بن عباد بقرطبة سنة 468هـ/ 1076م، كان من أهل الصرامة في تنفيذ الحق لا يخاف في الله لومة لائم، ابن بشكوال، **الصلة**، 369/1.

(4) هو عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، يُكنّى أبا بكر، من أهل قرطبة، كان من أهل النباهة والجلالة، والمعرفة باللغة والأدب ، ابن بشكوال، **الصله**، 283/1.

(5) مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق، وهو أول البحر الشامي ينتهي إلى مدينة صور، وهي تقابل الجزيرة الخضراء، وهي مفتوحة بالسين، والبحر يحيط بها شرقاً، ولها من جهات البحر أبواب كثيرة، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 303.

(6) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 209/8 ،المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب**، 115/4، دوزي رنهارت، **ملوك الطوائف**، 129.

الخضراء لكي تكون أمينة لعبور الجيش ولحماية خطوط تأمين الجيش،[1] وقال:(إنّ الأمر لله تعالى، وواجبٌ على كلّ مسلم إغاثة أخيه المسلم والانتصار له غير أن لي كلاماً أنهيه إليكم، أيدَ الله الأمير تعمرون الثمن وسبعة أثمان يعمرها النصارى، وهي ضيقة عرجة حريجة سجن لمن دخلها لا يخرج منها إلا تحت حكم صاحبها، وإن أنت جزت إليها وحصلت فيها ما يكون لك في نفسك شيء ،... فاكتبوا إليه، فإنه لا يمكنك الجواز إلا أن يعطيك الجزيرة الخضراء ..)، فقال له ابن تاشفين : (صدقت يا عبد الرحمن لقد نبهتني على شيء لم يخطر ببالي، اكتب إليه بذلك)[2].

كتب ابن أبسط إلى المعتمد ما يلي : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم، من أمير المسلمين وناصر الدين معين دعوة أمير المؤمنين، إلى الأمير الأكرم المؤيد بنصره الله تعالى المعتمد على الله ..... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فإنه وصل خطابك الكريم فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا لنصرتك وما ذكرته من كربتك ... فنحن يمين لشمالك ومبادرون لنصرتك وحمايتك .. وإنه لا يمكننا الجواز إلا أن تُسلّم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا، فإن رأيت ذلك فاشهد على نفسك بذلك، وابعث إلينا بعقودنا ونحن في أثر خطابك إن شاء الله تعالى)[3].

أطلع المعتمد ابنه الرشيد على خطاب الأمير يوسف بن تاشفين، فقال له : (يا أبتِ، ألا تنظر إلى ما طلب، فقال له المعتمد: يا بني، هذا قليل في حق نصرة المسلمين)، ثمّ جمع المعتمد القاضي والفقهاء

(1) نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 72.
(2) مؤلف مجهول ، **الحلل الموشية** ، 32.
(3) نفسه، 32،33.

وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين وتسليمها له بحضورهم،[1] وأرسل المعتمد ولده يزيد الراضي بالله والي الجزيرة، ليسلم هذا الثغر الهام للمرابطين.[2]

العبور الأول ليوسف بن تاشفين للأندلس:

بعد أن حصل يوسف بن تاشفين على الجزيرة الخضراء لبّى نداء المعتمد في العبور إلى الأندلس،[3] وكتب أماناً إلى أهلها على ألا يتعرّض لأحد منهم في البلدة، فقال: (أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ولا يتولى الأمر أحداً إلا أنا بنفسي)[4].

وقد توجَه ابن تاشفين إلى الله قبل جوازه إلى الأندلس داعياً:(اللهم إن كنتَ تعلم أنّ في جوازنا هذا إصلاحاً للمسلمين، فسهّل علينا هذا البحر حتّى نعبره، وإن كان غير ذلك فصعّبه حتّى لا نجوزه)[5].

بدأ ابن تاشفين بتجميع الجيش من أجل العبور إلى الأندلس، فأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره،[6] فأقبلت إليه واحدةً تلو الأخرى، حتّى تجمّع لابن تاشفين نحو سبعة آلاف فارس ومعهم عدد كبير من المشاة، فيهم القواد وأعيان الجند ووجوه البربر، عبرت هذه الجيوش إلى منطقة الجزيرة الخضراء،

---

(1) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 32، نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 72.

(2) أبو خليل، شوقي ، **الزلاقة** ، 38.

(3) القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى**، 258/5.

(4) المراكشي، محمد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،97، نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس** 74.

(5) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب** ، 93، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 111/1

(6) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 209/8 ، المراكشي، محمد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، 98 حتامله محمد **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 537.

لقيه المعتمد مع وجهاء دولته، وأظهر له من كرمه ما لم يكن يظنه أمير المسلمين، فقدم له الهدايا والتحف وبعض الذخائر الملوكية، وكان ذالك دافعاً لأن يتشوق يوسف إلى دخول مملكة جزيرة الأندلس[1].

تسلّم ابن تاشفين قلعةَ الجزيرة الخضراء باحتفال حضِرهُ القضاة والفرسان، وحضِرهُ المعتمد أمير اشبيلية،[2] وأمر ابن تاشفين بتحصينها تحصيناً منيعاً، على اعتبارها مفتاح الأندلس، كما وضع بها حاميةً مختارةً لتسهر على حمايتها، وشحنها بمقاديَر عظيمةٍ من الأقوات والذخائر، لكي يجعل منها مكاناً آمناً يذهب إليه إذا فشلت الحملة[3].

علم ألفونسو السادس بتحرك يوسف بن تاشفين نحو الأندلس فأرسل إليه رسالة يقول فيها: (من أمير النصرانية أذفونش بن فردلند إلى يوسف بن تاشفين، أما بعد، فانك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب وسلطانهم، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقابلتي، وقد أذللتهم بأخذ الجزية منهم بالقتل والأسر والذُلّ والقهر، وأنا لا أقتنع إلا بأخذ البلاد، وقد وجب عليك نصرهم، لأنهم أهل مِلّتك فأما أن تجوز إليه، وإما أن ترسل إلي المراكب أجوز إليك، فإن غلبتني كان ملك الأندلس والمغرب إليك، وإن غلبتك انقطع طمع الأندلس من نصرك إياهم..) [4].

---

(1) المراكشي، محمد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 98، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي** 636.

(2) ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، 240/3.

(3) أبو خليل، شوقي ، **الزلاقة**، 40.

(4) السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**[4] ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، 239/3

فلما وصلت الرسالة إلى يوسف كتب على ظهرها: (من أمير المسلمين يوسف إلى أذفونش، أما بعد فالجواب ما تراه بعينك لا تسمعه بأذنك، والسلام على مَن اتبع الهدى)[1].

بدأت القوات المحتشدة في الجزيرة الخضراء تتحرك نحو اشبيلية، والتقت هذه الجموع بالأندلسيّين الذين دفعهم الحماس إلى الانضمام لجيش المرابطين، واجتمعت جيوش الأندلس من جميع أنحاء البلاد الإسلامية، فأخذ يوسف يُنظّم هذه القوات [2].

يقول الحميري: (فلما عبر يوسف وجميع جيوشه البحر إلى الخضراء، نهض إلى اشبيلية على أحسن الهيئات جيشاً بعد جيش، وأميراً بعد أمير، وقبيلاً بعد قبيل، وبعث المعتمد ابنه إلى لقاء يوسف، وأمر عُمّال البلاد بجلب الأقوات والضِيافات، ورأى يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على إشبيلية) [3].

بعد أن جمع يوسف بن تاشفين جيشه، وافاه المعتمد بن عَبّاد بجملة من عنده من الأجناد والمتوكل بن الأفطس بجميع ما تحت إمرته من الأجناد، كما رحّب بقية ملوك الطوائف بهذه الحملة وأسهموا بقواتهم من أجل الجهاد في سبيل الله وإنقاذ الأندلس من خطر الإسبان[4].

خرج المعتمد إلى لقاء يوسف في إشبيلية ومعه مائة فارس، فلما وصل المعتمد إلى مكان نزول يوسف تصافحا وتعانقا، وأظهر كلّ منهما المودّةَ والمحبة للآخر، وتواصيا فيما بينهما بالصبر والرحمة، وتضرّعا

---

(1) ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، 239،240/3.

(2) السيد، محمود، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**،32،33 الطباع، عبد الله ، **القطوف اليانعة**، 110.

(3) **الروض المعطار**، 289 ، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 38/2.

(4) السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**،253، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**/ مج 13.

لله أن يجعل النصر حليفهم،[1] وأن هذا العمل خالصٌ لوجهه تعالى، وبعد ذلك تفرقا وذهب كلَّ منهما إلى جهته، [2] فقد كان ابن تاشفين قد قَسّم الجيش إلى معسكرين، معسكر للأندلسيّين وآخر للمرابطين.[3]

ارتفعت الروح المعنوية للأندلسيّين، واتحدوا فيما بينهم ضدّ العدوّ، فكانوا يتمتّعون بقوةٍ حربيةٍ، فقد ظهرت قوتهم حين عَبرت جيوش المرابطين، وصاروا هم والمرابطون جبهةً واحدةً متفقةً ومتّحدةً في مواجهة العدوّ[4].

معركة الزلاقة:

تُعدّ معركة الزلاقة[5] من أهمّ المعارك التي خاضها المسلمون في إسبانيا، ومن أهم المعارك في تاريخ الدولة الإسلامية، فقد استطاع المسلمون من خلال هذه المعركة إيقاف الزحف النصراني في الأراضي الأندلسيّة، حيث استطاع أمير المسلمين وقائد المرابطين يوسف بن تاشفين من إلحاق الهزيمة بالنصارى، وذلك بمساعدة ملوك الطوائف في الأندلس من أبرزهم المعتمد بن عَبّاد، فقد كانت الزلاقة هي التجربة الأولى التي خاضها المرابطون في الأندلس، فكان انتصار الزلاقة بدايةً جيدةً للوجود المرابطي في الأندلس.

---

(1) Scot, s.p, Ahistory Of The Morish, Emper, In Earope, 145.

(2) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 38/2 ، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 34.

(3) الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 289 ، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 34،السيد، محمود، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، 33 .

(4) السيد، محمود، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، 33.

(5) بطحاء الزلاقة من إقليم بطليموس من غرب الأندلس، وقعت فيها الوقعة الشهيرة بين المسلمين وألفونسو السادس وكانت في عشرين من رجب سنة 479هـ /1086م ، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار** 287،288.

عندما وصل يوسف إلى اشبيلية، بعث إلى ملوك الأندلس يستنفرهم للجهاد، فكان أول مَن لَبّى الدعوة عبد الله بن بلقين[1] صاحب غرناطة، وأخوه تميم[2] صاحب مالقه، والتقى بالأمير يوسف على طريق بطليموس،[3] وسار الجيش المرابطيّ بقيادة يوسف مع الجيش الأندلسيّ نحو بطليموس، فاستقبلهم صاحب بطليموس المتوكّل بن الأفطس، فأقام ابن تاشفين هناك أياماً عدة حتّى يصل باقي المتطوعين[4].

علم ألفونسو بتحرّكات الجيوش الإسلامّية، وفي تلك الفترة كان قد استنفر النصارى لحرب المسلمين، وكان حينئذ محاصراً لسرقسطة، مصمّماً على احتلالها، ففك الحصار عنها وتجّمعت لديه قوات هائلة أضافها إلى جيشه القشتالي، وسار بها فرحاً بتفوّق عدده وعدته[5].

رفع القِسّيسون والرُّهبان والأساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم، واجتمع لدى ألفونسو عدد من الجواسيس، بعث ألفونسو إلى ابن عباد، فقال: (إنّ صاحبكم يوسف قد تعَنّى بالمجيء من بلاده وخوضِ البحر وأنا أكفيه العناء فيما بقي ولا أكلفكم تعباً، أمضي إليكم وألقاكم في بلادكم رفقاً بكم وتوفيراً عليكم)[6].

---

(1) هو عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيرى الصنهاجي، آخر ملوك غرناطة في عصر ملوك الطوائف ، نفاه المرابطون إلى مدينة أغمات ، فعكف على كتابة مذكرات حياته الشخصيّة، ابن الخطيب،محمد، **أعمال الأعلام**، 240/3.

(2) هو تميم بن باديس بن حبوس، تِسمّى بالمنتصر بالله، كان شهماً، شديد الجرأة، تُوفيّ بمراكش ، عام 488هـ / 1095م، ابن الخطيب محمد، **أعمال الأعلام** ،214/2.

(3) ابن بلقين، عبد الله، **مذكرات ابن بلقين**، 104 ،نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 80.

(4) ابن الخطيب، محمد، **أعمال الأعلام**، 240،241/3، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 37.

(5)حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 538، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**،638.

(6) الناصري، أحمد، **الاستقصا** ، 39/2 ، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 289.

حشد ألفونسو قواته، وتأهّب بكلّ طاقاته ليخوض المعركة، فتحالف مع سانشو راميريز ملك أرغون، والكونت برنجار ريموند، كان أحدهما يحاول محاصرة طرطوشة،[1] أما الثاني، فكان يستعد للسيطرة على بلنسية، فترك كلَّ منهما مشروعه، وانضما إلى ألفونسو[2].

كان عدد جيش المسلمين عشرين ألف،[3] وفي مصادر أخرى ذكر عددهم أكثر من أربعةٍ وعشرين ألف جنديٍّ،[4]وجيش النصارى في خمسين ألفاً،[5] فقد كان عدد المسلمين يقلّ عن عدد النصارى،[6] لقد اختار ألفونسو عدداً من المقاتلين، وعندما نظر إلى مَن اختارهم، قال: (بهؤلاء أقاتل الجنّ والإنس وملائكة السّماء)[7]

رأى ألفونسو في نومه كأنه راكب على فيل وإلى جانبه طبل وهو يضربه فزعاً ومرعوباً، فلمّا أفاق سأل القساوسة والرهبان[8] فأخبروه أنّ رؤياه تدلّ على أنه سيظفر بالمسلمين وسينتصر عليهم، وأنّ الفيل معناه ذاك الملك الكبير الذي ستحصل عليه بعد انتصارك على المسلمين، ولكن هذا التفسير لم يعجب ألفونسو، فطلب أن يفسر له أحد من مشايخ المسلمين يقال له محمد بن عيسى المغامي،[9] فقال ألفونسو: (انطلقوا

---

(1) هي مدينة أندلسية، تقع في سفح جبل ، ولها سور حصين، وبها أسواق وعمارات وضياع، تشتهر جبالها بخشب الصنوبر الذي لا يوجد له مثيل ، الحميري، محمد ، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 391.

(2) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب**، 145،146 ، أبو خليل، شوقي، **الزلاقة**، 42.

(3) المراكشي، محمد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 99.

(4) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 38 ،

نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**،81.

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 209/8، حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 538.

(6) الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 289.

(7) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**،209/8، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 39/2.

(8) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 39.

(9) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 209.

إليه وآتوني به)، فانطلقوا إليه ولم يقبل أن يُفسّر المنام فعادوا إلى ألفونسو وسألهم عن الرجل فقالوا: إنه شخص ورع، ولم يرضَ أن يأتَي إليك،[1] فقصّ ما رأى على مجموعة من المسلمين فنقلوا ما رآه إلى المغامي، فقال لهم: إنّ رؤياه تدلّ على أنّ المسلمين سيهزمونه، والدليل على ذلك قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ)،[2] أما الطبل الذي كان يضربه فمن قوله تعالى(فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ،عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ)[3] فأعلموا ألفونسو ذلك التفسير، فلم يهتم ألفونسو لذلك التفسير ومضى في طريقه نحو المسلمين،[4] فقال بكلّ غرور: (بهذا الجيش ألقى إله محمد صاحب كتابكم)[5].

وعندما اكتمل عدد جيوش ألفونسو، توجّه من أجل لقاء ابن تاشفين ومَن معه، وخرج ابن تاشفين من الجزيرة الخضراء قاصداً الطريق نحو ألفونسو،[6]عسكر الجيشان على مقربة من بطليموس في سهل يُسمّى سهل الزلاقة، وقد كان يفرق بين الجيشين نهر يُسمّى نهر حجير أو بطليموس، نظم يوسف جيشه، فجعل الأندلسيّين جيشاً قائماً بذاته أسند قيادته إلى المعتمد بن عَبّاد الذي تولّى في الوقت ذاته المقدمة، وعَيّن المتوكّل بن الأفطس على الميمنة، وأهل الشّرق كانوا على الميسرة، وحشد جميع أهل الأندلس في الساقة،[7] فعسكر ابن تاشفين بجيشه في منطقة عالية منفصلةً عن الأندلسيّين وعسكر الأندلسيون أمام

---

(1) الحميري ، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 289، ابن الأثير، علي، **الكامل في التاريخ**، 209، مؤلف مجهول **الحلل الموشية**، 35،36 .

(2) الفيل، 1.

(3) المدثر، 8.

(4) الحميري، محمد، **الروض المعطار**، 290 ، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 39.

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**،209، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 39.

(6) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 146.

(7) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 41.

النصارى الذين كان عددهم كبيراً لدرجة أن البصر لا يمكن أنّ يرى نهاية صفّهم، ونتيجةً لكثرة عددهم دبّ الرعب في نفوس الأمراء الأندلسيين وشعروا باليأس من النجاح[1]

أرسل ابن تاشفين رسالة للألفونسو يعرض عليه دخول الإسلام أو دفع الجزية، أو أن يحاربه[2] فقال: (بلغنا يا أذفونش أنك دعوت الله في الاجتماع بنا، وتمنّيت أن تكون لك سفن تعبر عليها البحر إلينا، فقد عبرناه إليك، وقد جمع الله تعالى في هذه العرصة بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك،[3] (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)،[4] فعندما وصل كلام ابن تاشفين لألفونسو أقسم أن لا يعود إلى بلاده إلا عندما يلقاه[5].

أصرّ ألفونسو على مقاتلة ابن تاشفين، فطلب من المعتمد بن عَبّاد تحديد موعد للقتال، واقترح عليه أن يكون القتال يوم الإثنين، على اعتبار أنّ يوم الجمعة لكم، والسبت لنا، فقال ألفونسو: (الجمعة لكم، والسبت ليهود، وهم وزراؤنا وكُتّابنا وأكثر خدم العسكر منهم، فلا غنى بنا عنهم والأحد لنا، فإذا كان يوم الإثنين كان ما نريده من الزحف)،[6] ولم يكن هدف ألفونسو من هذا الاقتراح إلا الإيقاع بالمسلمين، ولكن تنبّه ابن عَبّاد لهدفه، وبقي مستعداً لذلك[7].

---

(1) أبو خليل، شوقي، **الزلاقة**، 43.

(2) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 115/4، حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، 539 أبو خليل، شوقي **الزلاقة**، 43.

(3) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 115/4، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 38/2 ، ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان** 116/7، مؤلف مجهول، **الحلل الموشيه**، 38.

(4) غافر، 50.

(5) ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، 116/7، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 38/3.

(6) المراكشي، محمد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 100.

(7) حتامله،محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 539.

وقع ما كان يتوقّعه ابن عَبّاد فقد بدأ ألفونسو بالهجوم يوم الجمعة 13 رمضان 479هـ/1086م[1] وذكرت مصادر أخرى أنها وقعت في شهر رجب 479هـ/1086م،[2] فتصدى له المعتمد، وأرسل عيونه في الليل من أجل مراقبة حركة معسكر النصارى، فرأوا بأنهم مستعدون للقتال، فأسرعوا إلى المعتمد يخبرونه أنهم سمعوا ضوضاء الجيش، وأنهم يجهزون أسلحتهم للقتال،[3] فأرسل ابن عَبّاد أحد كُتّابه إلى ابن تاشفين يعلمه غدر ألفونسو، فقال له إبن تاشفين: (إني سأقرب منه إن شاء الله تعالى)، وهكذا أعدّ يوسف جنده للقتال قبل أن يتحرك ألفونسو، وراقب كلَّ تحرّكاتهم[4].

نزل ابن تاشفين بَمن معه حتى وصلوا الزلاقة، ولما لحق به الأندلسيّون نزلوا تجاه النصارى، واختار ابن عَبّاد أن يكون هو المقاتل لهم أولاً،[5] وإذا انهزم المعتمد يأتي ابن تاشفين بعسكره ويتبعونه، ويهجم عليهم بعساكره، وتأتي معه أيضاً عساكر الأندلس[6].

تهيأ الطرفان للمعركة، وتنبه المسلمون لغدر ألفونسو، وقف الرهبان والقساوسة في صفوف جيش النصارى، كما وقف العلماء والفقهاء في صفوف المسلمين، وبدؤوا يحثونهم ويشجعونهم على الجهاد والصّمود أمام العدوّ،[7] هجمت القوات النصرانية بعنف، وبدؤوا بتطبيق خطّة ألفونسو التي تقوم على ضرب صفوف جيش المعتمد، حيث تأمّل ألفونسو أن يبعث من خلال هذا الهجوم المفاجئ الخوف في

---

(1) اختلفت المصادر في تحديد تاريخ معركة الزلاقة، ولكن نرجح التاريخ الذي ذكرناه انظر: ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 209/8 المراكشي،محمد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،100

(2) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 42/2، ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، 117/7 .

(3) أبو خليل، شوقي، **الزلاقه**، 45،46 ، بهلول، نداء، **جوانب لرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس**، 120.

(4) ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الإعلام**، 243/3، نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 88.

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 209/8.

(6) ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، 117/7.

(7) أبو خليل، شوقي، **الزلاقة**، 49

نفوس المسلمين،[1] أدى دخول قوات ألفونسو بشكل عنيف ومفاجئ إلى تأزم الوضع داخل المعركة، ولكن سرعان ما أرسل ابن تاشفين جيشاً يقدر بعشرة آلاف مقاتل بقيادة داود بن عائشة، ولكن لم يصمد ابن عائشة أمام قوة الجيش النصراني ، ولكن استطاع بقوته وصموده أمام القدر الهائل من القوات النصرانية، أن يتصدّى لهم ويحطّم الهجوم العنيف لدى النصارى، ولكن خسر المرابطون في قوة ردّهم خسارةً بشريةً كبيرةً،[2] (استأثر الله فيها بأرواح شهدت لها الرحمة وخطبتها الجنة)[3].

كما داهمت خيل ألفونسو مكان ابن عَبّاد، وأحاطوا به من كلّ جهة ، فحميت الحرب ، وانتشر القتل في أصحاب ابن عَبّاد،[4] إلا أنه صمد أمام هذه القوة من الخيل والفرسان، وأُثخِن بالجراح واشتدّ عليه وعلى أصحابه البلاء، كاد في وقتها سيتعرض للهزيمة، إلا أنّ أمير المسلمين أمر بعض قواده بأن يضرموا النار في محلة النصارى، فاستولوا على الخيل ، وفتك ابن تاشفين بمعظم حُراس ألفونسو [5] .

اشتد القتال وحُمي وطيس المعركة حتّى قدم ابن تاشفين، وطبوله قد ملأت أصواتها الجَوَّ، فلّما رآه ألفونسو وجّه حملته نحوه، فوصل إليهم ابن تاشفين وصدمهم صدمةً كبيرةً جعلتهم يعودون إلى مركزهم، واشتدّت المعركة كثيراً مع النصارى الذين أصبحوا بين ناريين: النار التي تلتهم معسكرهم بما فيه، ونار الحرب

---

(1) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 43، بولعراس، خميسي، **فن الحرب في الغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين والموحدين**،126.

(2) الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 190،191، بولعراس، خميس، **فن الحرب في الغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين والموحدين**، 127، الطباع عبد الله، **القطوف اليانعة**،110،111.

(3) مؤلف مجهول ، **الحلل الموشيه**،41،

(4) الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 291، نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس** 89.

(5) نصر الله ، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**،89.

التي أجَّجها المسلمون،[1] وأظهر ابن تاشفين وأصحابه من الصبر وحسن البلاء أكثر مما كان يتوقّعه ابن عَبّاد[2].

استطاعت المجموعة التي يقودها ابن تاشفين من اختراق قلب النصارى، وتمكن أحد المسلمين أن يصل إلى ألفونسو، وأصابه بجروح خطيرة في ركبته، ظل يعرج منها إلى آخر العمر، أشرفت الشمس حينها على الغروب،[3] وأدرك ألفونسو هو وقادته وفرسانه أنهم يواجهون الموت، فلمّا بدأ الظّلام، قام ألفونسو بالتراجع والهروب بتلٍّ قريبٍ من الزلاقة، ولمّا حلّ الليل ذهب ألفونسو ومَن معه إلى مدينة قوريه،[4] ولم ينجُ من الجيش القشتالي مع ملكهم ألفونسو سوى عددُ قليل، معظمهم جرحى، وبعدها أمر ابن تاشفين جنوده أن يوقفوا مطاردتهم، فبعدها لم يصل إلى طليطلة مع ألفونسو سوى مائة فارس فقط،[5] نصر الله المسلمين في هذه المعركة وحطّم شوكة العدوّ الكافر، وبهذا النصر أعطى الله المسلمين نعمته، وأظهر به عنايته لهم[6].

وفي هذا اليوم تَسمّى يوسف ابن تاشفين بأمير المسلمين، أرسل ابن تاشفين كتاباً إلى المغرب يبشّرهم بالانتصار الذي أحرزوه على ألفونسو،[7] كما أرسل ابن عَبّاد إلى ابنه الرشيد في إشبيلية يزفّ إليه البشرى

---

(1) ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، 118/7، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 42/2، ابن عذارى، **البيان المغرب** 117/4، مؤلف مجهول، **الحلل الموشيه**، 42، حتامله محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 540.

(2) المراكشي، محمد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، 100.

(3) السويدان، طارق، **الأندلس التاريخ المصور**، 290.

(4) أبو خليل، شوقي، **الزلاقة**، 53،54.

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 209/8، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب**، 149.

(6) ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، 244/3.

(7) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 149، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 53.

بالنصر الكبير،[1] حيث كان الناس بانتظار الخبر، وقد حُمِلت الرسالة بواسطة الحمام الزاجل، وهذا نصها: (اعلم أنه التقت جموع المسلمين بالطاغية إذفونش اللعين ، ففتح الله للمسلمين وهزم على أيديهم المشركين والحمد لله رب العالمين، فأعلم بذلك من قبلك من إخواننا المسلمين والسلام)[2].

دور العلماء في معركة الزلاقة:

قدّم العلماء في معركة الزلاقة دوراً كبيراً وحاسماً، حيث بدأ دورهم عندما حَضّوا المسلمين على القتال وحَبّبوا إليهم الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، كما شاركوا مشاركةً فعليةً من حيث قيامهم بوعظ المسلمين وحضّهم على الصّبر والثبات أمام العدوّ، وترغيبهم بما عند الله من أجرٍ كبيرٍ[3].

واستُشهِد في هذه المعركة عددٌ من العلماء، ومنهم: قاضي مراكش أبو مروان عبد الله المصمودي ورفيقه أبو محّمد يعلي المصمودي الذي كان يعمل قاضياً بالعدوة، وممّن استُشهِدَ أيضاً الفقيه أبو عباس بن رميلة القرطبي،[4] وكان من أهل العلم والورع والفضل، واستُشهِدَ أيضاً الفضل ولد الحافظ أبي محمد بن حزم، فكان من أهل العلم والتقوى، كما حضر عدد كبير من العلماء والفقهاء المعركة ومنهم: قاضي الجماعة بمراكش يوسف بن الملجوم والفقيه أبو مروان العذري وغيرهم الكثير[5].

---

(1) مؤلف مجهول، **الحلل الموشيه**، 44، نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 94.

(2) مؤلف مجهول، **الحلل الموشيه**، 44.

(3) بن بيه، محمد، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، 123.

(4) هو أحمد بن محمد بن فرج الأنصاري، يُعرف بابن رميله ، من أهل قرطبة، يُكنّى أبا العباس، يقال إنه في ليلة معركة الزلاقة رأى الرسول في منامه وهو يقول له، يا ابن رميلة إنكم منصورون وإنك ملاقين، ابن بشكوال، أحمد، **الصله**، 89/1

(5) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 140/4، الناصري، أحمد،**الاستقصا**، 44، بن بيه، محمد، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، 123.

لم يقتصر دور العلماء على الجهاد والدعوة إليه فقط، فقد أدّوْا دوراً كبيراً بتمجيد الانتصار الكبير الذي أحرزه المسلمون في الزلاقة، فقد وصفوا انتصار الزلاقة في أقوالهم للناس من أجل زرع الثقة في نفوسهم، وطرد اليأس والقنوط عنهم، فنجد الفقيه أبا عبيد البكري يصف انتصار الزلاقة[1] بقوله: (فتوح أضحكت مبسم الدهر، وسفرت عن صفحة البشر، وردّت ماضي العمر، وثنت آمال الشرك كذباً شملت النعمة، وجبرت الأمة، وجلت الغُمّة، وشفت الملّة، وكشفت العلّة، فغدا الدين جديداً، والإسلام سعيداً..)،[2] كما كتب الفقيه محمد عبد الله بن عبد البرّ إلى سُكان إشبيلية مبشّراً بالنصر فيقول: (وكان يوماً لم يُسمع بمثله من يوم اليرموك والقادسّية، فيا له من فتحٍ ما كان أعظمه، ويومٍ كبيرٍ ما كان أكرمه، فيوم الزلاقة ثبّتَ قَدمَ الدين بعد زلاقها)[3].

وفي رسالة كتبها ابن عبدون[4] يؤكّد أنّ الجهاد كان سبباً في ظهور الإسلام على جميع الأديان على الرغم من الصّلبان.. وجمع في هذه الجزيرة شمل الإسلام، بعد انصرافه..)[5].

ومن الأمور التي ركّز عليها العلماء، صفات البطولة والشجاعة والإقدام، وهذا لا يقلّ أهمّيةً عن الثبات والصّبر في القتال، فيذكر أحد العلماء أنّ النصارى بضخامة جيشهم حملوا على المسلمين حملة منكرة،

---

(1) بن بيه، محمد، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، 123

(2) ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 236/2، أبو ندى، محمود، **الدور الجهادي للعلماء في الأندلس** 95.

(3) مؤلف مجهول، **الحلل الموشيه**، 47.

(4) هو محمد بن عبد المجيد بن عبدون، وُلد في يابرة، كان فقيهاً، وشاعراً، وكاتباً بليغاً، بلغ من تفقهه بعلوم عصره مبلغاً جعله قريباً من المتوكل بن الأفطس، ثم أصبح كاتباً لأمير بطليموس، أبو ندى، محمود، **الدور الجهادي للعلماء في الأندلس**، 96.

(5) المراكشي، محمد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 124.

فتلقاهم المجاهدون بنيات خالصةٍ، وهممٍ عاليةٍ، فعصفت ريح الحرب، فنزل من سماء الله على أوليائه النصرُ العزيزُ[1].

تبين ممّا سبق أنّ ألفونسو خسر القسم الأكبر من جيشه، وخسر المسلمون عدداً كبيراً من جنودهم، ولكن المنتصر دائماً يقلل من خسائره، فقد ذكر أن مكان المعركة لم يكن فيه موضع قدم إلا على ميت أو دم[2]، أخلى النصارى بلنسية، ورفعوا الحصار عن سرقسطة، كما تخلّف المسلمون عن دفع الجزية للنصارى، وصاروا آمنين من الاعتداءات النصرانية عليهم[3].وبعد أن تحقّق للمسلمين هذا النصر الكبير في معركة الزلاقة، عادت جيوشهم إلى إشبيلية، حيث أقام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بظاهرها ثلاثة أيام، ثم عاد إلى الجزيرة الخضراء، ومنها عَبر إلى مراكش[4].

وخلاصة القول: إنّ العلماء كان لهم دورٌ بارزٌ في هذا الانتصار، فقد برز دورهم منذ البداية في عمليات تحريض أهالي الأندلس وملوك الطوائف على الجهاد ضدّ النصارى من أجل الدفاع عن بلادهم من الخطر المحدق بها، كما كان لهم دور كبير في عمليات الجهاد في معركة الزلاقة، فقد وقع عدد منهم شهداء بعد أن جاهدوا ببسالة إلى جانب أهالي الأندلس والمرابطين، وأخيراً قدموا دوراً كبيراً بتمجيد انتصار الزلاقة وكان هدفهم تقوية الروح المعنوية لدى الأندلسيّين.

---

(1) أبو ندى، محمود، **الدور الجهادي للعلماء في الأندلس**، 96.

(2) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 44، مؤلف مجهول، **الحلل الموشيه**، 43،44.

(3) السيد، محمود، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، 35.

(4) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 210/8، الناصري، أحمد ، **الاستقصا**، 45، ابن عذارى،**البيان المغرب** 140/4، حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 241.

وتجدر الإشارة أيضاً أنّ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أدّى دوراً كبيراً في الدفاع عن الأندلس، فقد لبى يوسف نداءات أهالي الأندلس وبعض ملوك الطوائف، مثل المعتمد بن عَبّاد، وهبّ لاستنجاد المسلمين في الأندلس والدفاع عنها مع جيوشه المرابطين ضدّ النصارى.

كانت موقعة الزلاقة موقعةً حاسمةً بالنسبة لمصير الأندلسيّين، وكذلك المرابطين، أما بالنسبة للأندلسيين فقد تخلّصوا من تسلُّط حُكّام النصارى الذين كانوا يُهّددونهم ويأخذون منهم الجزية، أما بالنسبة للمرابطين، فقد كانت الزلاقة نقطةَ تَحَولٍ في حياتهم، إذ دخلوا في البداية بوصفهم مقاتلين مساندين لإخوانهم المسلمين، ولكن تحوّلوا بعد معركة الزلاقة إلى أعداء فاتحين ومسيطرين على الأندلس، كما أنّ الزلاقة تُجّسد معنى الوحدة الإسلامية، وأنّ الانتصار لا يتحصّل إلا بذلك، وأن الهزائم لا تأتي إلا بالفرقة، وبالتالي كانت معركة الزلاقة من أكبر الانتصارات التي حقّقها المسلمون على النصارى.

الـــــفـــــصـــــل الـــــثـــالـــث

المرابطون وملوك الطوائف والممالك النصرانية

القضاء على ملوك الطوائف

بعد انتصار المسلمين في الزلاقة، وعودة يوسف بن تاشفين إلى أرض المغرب، بدأت أطماع ملوك الطوائف تعود من جديد، فبدؤوا يتصارعون على أراضي بعضهم البعض، فنجد الخلاف بينهم على الأراضي والمناطق التي غنموها بعد معركة الزلاقة، فعاد وضع ملوك الطوائف إلى ما كانت عليه قبل الزلاقة، حيث اشتدّتِ الخلافات بين حُكّام تلك الدول، ونَشِبَ قتال بينهم وبدأت النزاعات والصراعات تتابع بعضها بعضاً ، فقد غلب عليهم حبّ السلطة والمنصب دون الاكتراث لمصلحة الشّعب.

وعلى الرغم من النصر الذي حقّقه المسلمون في معركة الزلاقة، وإنهاء ملوك الطوائف لحالات الفتن والصراع التي كانت قائمة بينهم، وإخلاص نيتهم في الجهاد لوجه الله، إلا أنهم ما إن شعروا بحالة الأمن وزوال خطر النصارى عليهم، عادوا إلى ما كانوا عليه من تَعسّفٍ وهضمٍ لحقوقِ رعاياهم وعودتهم إلى مجالس اللهو واللعب، فقد نَسُوا أمور بلادهم والأخطار التي تُحدق بها[1].

فبعد عودة يوسف بن تاشفين إلى المغرب ، اضطربت أحوال الأندلس من جديد، فقد عاد ملوكها وأمراؤها إلى سيرتهم الأولى،[2] من خلاف وقتال، وعادوا للاتصال بالممالك النصرانية في الشّمال ضدّ بعضهم

---

(1) خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 276.

(2) Livermore, Hv, **The Origins Of, Spani And Portugal**, 68.

البعض، وبدؤوا بمضايقة القوة المرابطية التي بقيت في الأندلس،[1] فرأى يوسف أن ضياع الأندلس سيكون على يد هؤلاء الملوك إذا لم يتمّ القضاء عليهم[2]

أخذ ملوك الطوائف بعد عودتهم إلى بلادهم يشعرون بالخطر يحيط بهم، فلم يدركوا تماماً مصدر هذا الخطر، فهل يأتي من النصارى على شكل انتقام بسبب هزيمتهم في الزلاقة، أم من المرابطين الذين فُتنوا بخيرات الأندلس وثرواتها، ونجد أنهم حتّى لو عرفوا مصدر الخطر فإنهم لا يستطيعون فعل شيء لصدّه وذلك لأنهم كانوا يعيشون حالةً منَ الاضطراب والفوضى والشّعور بالضياع فقد دفعهم هذا الوضع السّيّئ إلى اتخاذ سياسة تتسم بضعف التخطيط، وتركيزهم على دفع الخطر دون النظر للعواقب الوخيمة التي ستقع بهم[3].

بعد أن علم ألفونسو السادس بأنّ أمير المسلمين ابن تاشفين قد عاد إلى مراكش، انتعشت نفسه وعاد إلى ما كان عليه قبل الزلاقة، فبدأ بطلب المعونة من القوات الصليبية من أجل تعويض الخسائر الكبيرة التي تعّرض لها في معركة الزلاقة، فوصلته من إيطاليا العديد من الإمدادات نحو أربعمائة سفينة، فحاصر بلنسية وهاجم السواحل الأندلسيّة ووجّه النصارى هجماتِهم إلى بلاد المعتمد بن عَبّاد[4].

(1) نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 102.

(2) زغروت، فتحي، **النوازل الكبرى**، 438.

(3) أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية**، 140.

(4) خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 277، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، 422.

كان يوسف بن تاشفين عند عودته إلى المغرب قد ترك قائده أبا بكر اللمتوني[1] بأرض الأندلس ومعه عدداً من الجند،[2] وفي ذلك الوقت بدأ ألفونسو بشنّ الغارات على بعض المدن الأندلسيّة وقتل الرجال وسبى النساء وفتح الحصون المنيعة، وتوّغل في البلاد، فأرسل القائد أبو بكر إلى يوسف بن تاشفين يخبره عمّا حصل، وأخبره أنّ جنده متحصنون بالثغور لملاقاة العدوّ، وأنّ ملوك الطوائف يعيشون عيشةً سعيدةً بين أهليهم وفي أرضهم،[3] فأرسل له يوسف كتاباً قال فيه: (أن يأمرهم بالنقلة والرحيل إلى أرض العدوة، فمن فعل فذاك، ومَن أبى فحاصِرهُ وقاتِلهُ ولا تنفس عليه ولتبدأ بمَن والَى إلى الثغور منهم، ولا تتعرّض لابن عَبّاد إلا بعد استيلائك على البلاد، وكلّ بلد أخذته فولِّ عليه أميراً من عسكرك)، فامتثل أبو بكر لما كتبه له يوسف بن تاشفين [4].

العبور الثاني ليوسف إلى الأندلس:

بعد أن عاد ألفونسو إلى طليطلة مهزوماً في معركة الزلاقة، لجأ إلى إنشاء حصنٍ وقام بشحنه بالمقاتلين، كما زوده بأمهر الفرسان والرجال والرماة، حيث بلغ عددهم ثلاثة عشر ألفاً، كما زوّده بالمؤن والمعدات،[5] وأمر المقاتلين بشنّ الضّربات والغارات على أراضي المسلمين، وكان هذا الحصن يُسمّى

(1) هو أبو بكر بن عمر اللمتوني، من رؤساء الدولة في المغرب، فتح بلاد أغمات وتادلة وتامسنا، كان إلى جانب سيد المرابطين عبد الله بن ياسين، الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، 68/2.

(2) حسين، حمدي، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلسي**، 60.

(3) الناصري، أحمد **الاستقصا**، 46/2، أرسلان، شكيب، **خلاصة تاريخ الأندلس**، 43.

(4) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 46/2.

(5) حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 541.

حصن لبيط[1] وكان هذا الحصن ملاصقاً لأراضي المعتمد بن عَبّاد، فبدأت جموع النصارى تنطلق منه متجهةً شرقاً وغرباً، فقاموا بقتل عددٍ كبيرٍ من المسلمين وأسرهم[2].

عانت العديد من مناطق الأندلس من هجمات قوات ألفونسو التي كانت موجودةً في حصن لبيط، وقد ساعد موقعه الحصين، ولا سيما وأنهم يعرفون أساليب حكام الطوائف وشعورهم بالأمان بعد عودة أمير المسلمين إلى المغرب وبُعده عن الأندلس، قوات ألفونسو على شنّ هجماتٍ ضدّ المدن والمناطق الأندلسيّة[3].

افتقد أهل الأندلس الأمن والسلام، وساء الموقف في الأندلس من جديد، فقد مضى على الزلاقة أقلّ من عامين، فبدأت شكاوَى المسلمين تعلوا، وبدؤوا يستصرخون المرابطين مرة أخرى،[4] فبدأت الوفود تذهب إلى يوسف بن تاشفين من أهل مرسية ولورقه، وشكَوْا الحال إليه ووصفوا له ما تقوم به القوات النصرانية من غارات من حصن لبيط[5].

كان الخلاف واقعاً في مرسيه بين المعتمد بن عَبّاد وابن رشيق،[6] فكان السّيد القنبيطور لا يكفّ عن مهاجمة المنطقة، وكذلك القائد القشتالي غرسيه، الذي احتلّ معقل لبيط، وقد ألحق المعتصمون به أشدّ

---

(1) هو حصن حصين على رأس جبل شاهق، بينه وبين لورقة نصف يوم ،ويملكه العدو، ابن عذارى، **البيان المغرب** 141/4، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 48.

(2) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 141/4، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 46/2، حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 541.

(3) حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضاره والمحنه**، 541.

(4) سالم ، عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، 643.

(5) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 48، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، 644.

(6) هو عبد الرحمن بن رشيق، حكم مرسيه باسم المعتمد بن عباد، ثم لم يلبث أن استقل عنه بحكمها، وتبين بعد معركة الزلاقة خيانته وتعاونه مع ألفونسو، ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، 160.

الأضرار بمَن جاورهم من المسلمين، وهذا ما دفع المعتمد بن عباد العبور إلى المغرب والاجتماع بيوسف بن تاشفين، طالباً منه العودة إلى الأندلس لكي يستردّ حصن لييط[1].

عبرَ ابن عَبّاد البحر، وذهب للقاء ابن تاشفين لكي يخبره عن وضع الأندلس، ويطلبَ منه المجيء مرّةً أخرى،[2] فبدأ يصف له مدى أهّمية حصن لييط بالنسبة للمسلمين، فقال له إنّه بوسط البلدَ وأنه لا راحة

للمسلمين إلا بوجوده، فوعده يوسف بأن يأتيَ بنفسه لنجدةِ هذا الحصن الهامّ.[3]

يقول ابن بلقين: (وأتتنا كتب الأمير، يأمرنا عند جوازه بالاستعداد للقتال وما شاكل ذلك، ففعلنا وبادرنا رغبةً في الجهاد ومحبةً فيه، وإيثاراً، وخرجنا إليه، ولقيناه في حَيّزٍ من بلدنا بما يطابق مثله من الهدايا والتحف، وأجمعنا على المسير إلى لييط)[4].

عاد ابن عباد إلى إشبيلية مطمئناً بعد أن وعده يوسف بن تاشفين بأنه سيلبّي طلبه، وأخذ في إعداد السلاح والمقاتلين استعداداً لقدومه[5].

وَفّى يوسف بن تاشفين بوعوده لابن عَبّاد، وعبر البحر وعاد إلى الأندلس مرّةً ثانيةً سنةَ 481هـ/1088م،[1] قال ابن أبي الزرع: (لمّا كانت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى

---

(1) الجيوسي، سلمى، **الحضاره العربية الإسلامية في الأندلس**، 112/1.

(2) ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، 249/3، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 422.

(3) ابن بلقين، عبد الله، **مذكرات ابن بلقين**، 108، سالم ، عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، 643.

(4) **مذكرات ابن بلقين**، 108

(5) أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية**، 142.

الأندلس الجواز الثاني برسم الجهاد، وقال وسبب جوازه أنّ الأذفونش _لعنة الله عليه_ لمّا هُزِمَ وجُرِحَ وقُتلت جموعه عَمِدَ إلى حصن لبيط الموالي لعمل ابن عَبّاد فشحنه بالخيل والرجال والرُّماة، وأمرهم أن ينزلوا من الحصن المذكور، فيغيرون في أطراف بلاد ابن عَبّاد دون سائر بلاد الأندلس)[2].

حصار حصن لبيط والخلافات القائمة بين ملوك الطوائف:

عبر ابن تاشفين البحر متّجهاً نحو الأندلس، فلقيه ابن عَبّاد، ونزل في الجزيرة الخضراء، ومن هناك أرسل كتباً إلى أمراء الأندلس يدعوهم إلى الجهاد، فقال لهم: (الموعد بيننا حصن لبيط) ثمّ تحرّك يوسف من الجزيرة الخضراء، ونزل على حصن لبيط،[3] فلم يُلبّ دعوته للجهاد من أمراء الأندلس سوى ابن عبد العزيز صاحب مرسيه، والمعتمد بن عَبّاد، ونزلا معه للجهاد،[4] فأيقن يوسف بأنّ هؤلاء الملوك قد عادوا إلى فسادهم، ووجب القضاء عليهم وخلعهم عن مناصبهم[5].

كان حصار لبيط من أهمّ الأمور التي أوضحت ليوسف نوايا ملوك الطّوائف،[6] فيقول ابن بلقين عن حصار حصن لبيط: (فنازلناه على أتم ما يمكن من الرجال والعدد، كلّ رئيس يقاتله على حسب مجهوده، وما تبلغ استطاعته وحيلته، وقد امتلأ برعيّة الجهة كلّها من النصارى، وأعدّوا فيه ما يحتاج من كلّ شيء،

---

(1) ابن أبي الزرع ،علي، **الأنيس المطرب**، 152، أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسباني المسيحية**،142، زبيب، نجيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، 285 السامرائي، خليل ، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، 253.

(2) **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 125، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 47/2.

(3) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 142/4.

(4) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب**،153.

(5) ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، 3/ 250.

(6) أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية واسبانيا المسيحية**، 143.

فعل من نظر سعةٍ، وهم في ذلك يهّددون بمجيء ألفونس، ويريعون الحيلة بالتنيير كلّ ليلة والقتال عليهم كل يوم لا يفتر، مع البنيان في المواضع المهمة عليهم، ونصب المجانيق وفي كلّ ذلك لا ينجح عمل، ولا تظهر فيه للمسلمين فرصة، بما شاء الله من اختلاف الكلمة)[1].

شدّدت القوات الإسلاميّة الحصار على حصن ليبط، واستّمر ذلك مدة أربعة أشهر، وهوجم الحصن في الليل والنهار، ولكن لم يظهر على هذا الحصن أيّ دلائل للانهيار، وذلك من شدّةِ الحراسة التي أقامها النصارى عليه،[2] فما كان من يوسف بن تاشفين وابن عَبّاد إلا أن دعوا إلى عقد اجتماع لتدارس حالته فتبين لهما كم أنه يتمتّع بحصانةٍ كبيرةٍ تَصعِّبُ عليهم اختراقه والسيطرة عليه،[3] والذي صَعّب عليهم السيطرة عليه هو مناعة هذا الحصن بالإضافة إلى دخول فصل الشّتاء،[4] وما كان من القوات الإسلامْية إلا أن انسحبت نحو مدينة لورقة، واستنجد النّصارى المتحصنونَ في الحصن بملكهم ألفونسو السادس، فلبّى طلبهم بسرعة وخلّصهم من خطر القوات الإسلاميّة[5].

لم تكن منعةُ هذا الحصن، ودخول فصل الشتاء هما السببين الوحيدين اللذين دفعا يوسف ابن تاشفين إلى ترك حصاره واقتحامه، وإنما الخلافات بين ملوك الطوائف التي كشفت حقيقتهم أمام يوسف بن تاشفين حيث ملّ ملوك الطوائف من المكوث في الحصار والانتظار، ومن هنا ظهرت حقيقتهم، ونتيجةً لقلّةِ

---

(1) **مذكرات ابن بلقين**، 108-109.

(2). Livermore, Hv, **The Origins Of, Spani And Portugal**, 77

(3) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 49، خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 282.

(4) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب**، 153، السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في والأندلس**، 254.

(5) السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في والأندلس**، 254.

صبرهم أفسدوا ما خطط له ابن تاشفين للجهاد،[1] ممّا جعله يعود إلى المغرب مليئاً بالغيظ والحقد على هؤلاء الملوك[2].

ومن أهم الخلافات التي وقعت بين ملوك الطوائف، تلك التي كانت بين المعتمد بن عَبّاد وابن رشيق، فقد أعلن ابن رشيق حاكم مرسيه استقلاله عن ابن عَبّاد،[3] وقد أثّر هذا الخلاف على علاقات ملوك الطوائف بالمرابطين و بألفونسو السادس[4] فنجد أنّ ابن عَبّاد كان قد شكا ما يفعله ابن رشيق لابن تاشفين في أثناء ذهابه للقائه وطلب المساعدة منه، ولكن نجد أنّ ابن رشيق قد أسرع في التودّد إلى المرابطين عندما جاؤوا لحصن لييط، وقدم لهم الأموال طمعاً في جذبهم نحوه، وكذلك فعل ابن عَبّاد، فقدم لهم أموالاً طائلةً[5].

كان ابن عَبّاد قد اتهم ابن رشيق بأنه نقض عهد الطاعة له واستقلّ عنه، وكذلك اتصاله بالنصارى، ودفع جباية مرسيه لألفونسو، فنجد أنّ هذه التهمة كانت واضحةً للجميع،[6] فقد قال ابن بلقين في ذلك: (إن معونته للروم بلييط لم تخف على أحد، يعتقد أنّ ببقائها يثبت في مرسيه)[7].

بعد كلّ تلك الاتهامات التي اتهمها ابن عَبّاد لابن رشيق، قرّر ابن تاشفين عقد محاكمة لهما واستفتى الفقهاء في ذلك الأمر، من أجل تقرير حكم الشّرع، فأصدروا حكماً به، وهو الخروج من بلاد المسلمين وأن يسلم سلطانه لهم، وقُبض على ابن رشيق، وسُجِن عند المعتمد، وما كان من أهله وأقاربه إلا أن تّمردوا

---

(1) خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 282.

(2) أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية واسبانيا المسيحية**، 144.

(3) خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين** ،283.

(4) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**،49 أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية واسبانيا المسيحية**، 144.

(5) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 4/141-142، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 49،50.

(6) خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين** ،283، عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 336.

(7) **مذكرات ابن بلقين**، 112، خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين** ،283.

وعادوا إلى مدينتهم مرسيه،[1] فقاموا برفع الأسعار، وبدأ الحال يسوء أكثرَ فأكثرَ وملّ الناس من هذا الوضع السّيئ[2].

انسحب قادة مرسيه من صفوف يوسف بن تاشفين، حيث كان أغلبهم أقرباء ابن رشيق، ونتج عن ذلك أن اختلّ التوازن في معسكر المسلمين، وانتهى الأمر بأن قرّر ابن تاشفين رفع الحصار عن لييط،[3] وسمح لألفونسو أن يدخل ويخرج مَن بَقي منه من النصارى ويأخذ ما بقي فيه من عّدة الحصار، وعاد إلى طليطلة، فاستولى ابن عَبّاد عليه بعد إخلائه. [4].

زادت القناعة لدى يوسف بن تاشفين أنّ يعمل على إزالة ملوك الطوائف، لأن إبقاؤهم في مناصبهم سوف يُعطلُ عليه مشروع الجهاد في الأندلس، ووقف الزّحف النصراني وتوحيد الأندلس تحت راية الإسلام، فأصرّ بأن يعود إلى الأندلس لكي يتخلص منهم نهائياً، فعاد إلى المغرب لكي يُعدّ العدة لمحاربتهم[5].

وخلاصة ما سبق أنّ ملوك الطوائف عادوا إلى ما كانوا عليه من تسلّط وانحلال، حيث رأوا بأن يعودوا إلى هدفهم الأسمى وهو الحفاظ على مناصبهم، لأنّ الجهاد في نظرهم هو مَضيعةٌ للوقت وللنفس، وأنّ التحالف مع النصارى يجلب لهم الحفاظ على مكانتهم، أما الحصار الذي فرضه يوسف على حصن لييط فقد باء بالفشل ويُرجعُ المرابطين سبب هذا الفشل إلى تقاعس ملوك الطوائف في الدفاع عن أرضهم

---

(1) خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 283.

(2) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 50، عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 336.

(3) ابن أبي الزرع، **الأنبس المطرب** ، 154، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 50، أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية**،147،146، العبد اللات، فاطمة، **الحض على الجهاد في الأندلس**،16.

(4) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 2/47-48.

(5) أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية**، 146-147.

والوقوف إلى جانب ابن تاشفين في حصاره، بالإضافة إلى الخلاف الذي كان قائماً بين المعتمد وابن رشيق، حيث كان سبباً رئيسياً من أسباب فشل فتحه.

دور العلماء في اسقاط ملوك الطوائف:

قدّم العلماء دوراً بارزاً في إسقاطهم، فقد رأوا بأنهم عادوا إلى ما كانوا عليه قبل الزلاقة واتبع العلماء والفقهاء من أجل إسقاط ملوك الطوائف ثلاث وسائل، أولها: تحريض الأمير ابن تاشفين عليهم، وثانيها: إصدار فتوى فقهية تجيز إسقاط حُكّام الطوائف، وثالثها: مساعدة القوات المرابطية في الإطاحة بحُكّام الطوائف[1].

أول هجوم قاده الفقهاء اتجاه ملوك الطوائف، كان على شكل حملات إعلاميةٍ تهدف بالدرجة الأولى إلى تأليف الناس ضدّهم، وكان من أهم التّهم وأخطرها التي وجهوها إليهم هي قيامهم بفرض ضرائبَ باهظةٍ على رعاياهم، حيث كانت تنافي أحكام الشّرع الإسلاميّ، فما كان منهم إلا أن طلبوا من يوسف بن تاشفين وضع حدّ لهذه التجاوزات[2]، واتهم الفقهاء ملوك الطوائف أيضاً تهمة أخرى وهي تآمرهم مع الملك النصراني ألفونسو على الإسلام والمسلمين، ولم يستطع ملوك الطوائف دفع هذه التهمة عنهم وذلك بعد أن تبين تحالفهم مع النصارى، وقبولهم بدفع الجزية لهم [3].

(1) أبو الندى، محمود، **الدور الجهادي للعلماء في الأندلس**، 50.

(2) أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية**، 153، بن عبود، أحمد، **التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف**، 261.

(3) ابن عبود، أحمد، **التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية في عهد دول الطوائف**، 262.

ومن بين الفقهاء الذين أدوا دوراً بارزاً هو ابن القليعي، حيث نصب خيمته بالقرب من خيمة الأمير يوسف، فكان كثيراً ما يذهب لزيارته، فقد كان الأمير يوسف يَحترمه ويثق به، فعمل القليعي على تحريض الأمير ابن تاشفين، وكان ينقل له شكاوى أهل الأندلس على أمراء الطوائف[1] ويوضّح له تعاونهم مع ألفونسو ودفعهم الجزية له[2].

وكذلك قَدّمَ القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل،[3] دوراً في تحريض الأمير يوسف على ملوك الطوائف، ويذكر أنّ الأمير تميم بن زيرى، أرسل مبلغاً من المال له لكي يستعطفه، ويأخذه نحو صَفّه، إلا أنّ القاضي لم يقبل ذلك المال وفضل أن يفعل ما يأمره الشّرع ويختار طريق الله لا طريق المال[4].

أصدر العلماء والفقهاء العديد من الفتاوى بوجوب خلع ملوك الطوائف، حيث كانوا يعلمون بأنّ ابن تاشفين لن يتخذ مثل هذه الخطوة، إلا بعد استشارة بعضهم، فعمل ابن تاشفين على استفتاء علماء المغرب وعلى رأسهم الفقيه ابن الملجوم،[5] فقال له: (من كان من الملوك مُصرّاً على هذه الأوصاف، وموجوداً في الوقت إمامٌ أعدل منه، فله قتاله وعزله عن ولاية المسلمين)[6].

---

(1) ابن بلقين، عبد الله، **مذكرات ابن بلقين**، 116.

(2) **المصدر نفسه**، 117.

(3) أصله من جيان وسكن قرطبة، وتفقه وأصبح من أكبر علمائها، هو محدثاً وفقيهاً وراوياً، وكان مقدماً في الأحكام، وهو من أهل الورع والتقوى والدين، ولي غرناطة في زمن الطوائف والمرابطين، ابن فرحون، **الديباج المذهب**، 70/2.

(4) أبو الندى، محمود، **الدور الجهادي للعلماء في الأندلس**،51.

(5) هو الفقيه عبد الرحيم بن الملجوم، أحد كبار فقهاء فاس، تبحر في علم الكلام وأصول الفقه، تتلمذ على يديه كبار الفقهاء، أبو الندى محمود، **الدور الجهادي للعلماء في الأندلس**،51.

(6) بن بيه، محمد، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، 131،132.

أيد فتوى علماء المغرب والأندلس علماءُ أجلّاء آخرون، منهم الإمام الغزاليّ، والإمام الطرطوشيّ يقول الغزالي في شأن الطوائف: (فيجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمرّدة، ولاسيّما وقد استنجَدْوا بالنصارى....)[1].

لقد كان العلماء في وقوفهم ودعمهم لمساعي المرابطين وإرشادهم لهم ينطلقون من قناعاتٍ دينيةٍ تتمثل في ضرورة مساعدة مَن يقدر أن يدافع عن حرمة الإسلام ويحميه في الأندلس، ويزيل الظلم ويحكم بالعدل[2]. وبهذا يكون العلماء قد قدموا دوراً مهماً في تحريض أمير المسلمين ابن تاشفين ضدّ أمراء الطوائف فقد تبين لهم مدى فسادهم، خصوصاً بعد عودتهم إلى التحالف مع الحاكم النصراني ودفع الجزية له مرةً أخرى، وبعد أن أصدروا فتواهم بوجوب خلعهم، شجّعه ذلك على التصرّف فوراً والبَدء بعزلهم لأنه بذلك حصل على الحكم الشَرعيّ من الفقهاء حيث دفعه هذا الحُكم إلى الاتّجاه نحو الأندلس مرةً ثالثةً.

العبور الثالث ليوسف بن تاشفين إلى الأندلس:

في سنة 483هـ /1090م، جاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس جوازه الثالث،[3] من أجل عزل ملوك الطوائف،[4] بناءً على استغاثات أهل الأندلس له، كما أنّ العلماء قد أفتَوْا له بأنه يجوز أن يعمل على عزلهم، وأن يعمل على ضمّ البلاد إلى حكمه وسيطرته[5].

---

(1) بن بيه، محمد، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرباطين**،132، بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس**، 120.

(2) بن بيه، محمد، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، 139.

(3) مؤنس، حسين، **موسوعة تاريخ الأندلس**، 75/2.

(4) ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، 250/3، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 48، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب** 153، العبد اللات، فاطمة، **الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي**، 17، الجيوسي، سلمى، **الحضاره العربية الإسلامية في الأندلس** 113/1.

(5) اعراب، عمر، **يوسف بن تاشفين في التاريخ**، 22،مؤنس، حسين، **موسوعة تاريخ الأندلس**، 75/2.

يقول صاحب الحلل الموشية عن الأسباب التي دفعت يوسف بن تاشفين للجواز إلى الأندلس مرةً ثالثةً: (كان جوازه الثالث في سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة سببه أنه لمّا كان على حصن لبيط نقل إليه عن كلام ملوك الأندلس، أحفظه وأوغر صدره عليهم، أخوه المستنصر تميم بن بلقين، وتوجّه إلى غرناطة، فلقيه المظّفر خارج الحضرة، فسلّم عليه ، وترّجل إليه، ودخل معه البلد، وسلّم إليه الأمر وأقام ينظر في توطيد البلد، وتمهيد الأمور..)،[1] أما ابن خُلدون، فقد فسّر هذا الجواز قائلاً: (وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم، وصارت إليه فتاوى من أهل الشرق من الأعلام، فعهد إلى غرناطة واستنزل صاحبها عبيد الله بن بلكين وأخاه تميم، بعد أن كان منهما مداخلة الطاغية في عداوة يوسف بن تاشفين وبعث بهما إلى المغرب.)[2].

وأخبرنا صاحب كتاب الكامل في التاريخ عن جواز يوسف، فقال: (في هذه السّنة في رجب، ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، صاحب بلاد المغرب، من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين الأندلس قرطبة)[3].

كان هدف يوسف بن تاشفين من جوازه الثالث القضاء على ملوك الطوائف، وثَمَّةَ أسبابٌ ودوافع آخرى دفعته إلى السير نحو هذا الهدف الرئيسي، ومنها: كثرة الخلافات والنزاعات التي نشبت بين ملوك الطوائف، حيث فشلت جميع جهود يوسف بن تاشفين في إزالة تلك الخلافات وتجميعهم تحت راية الإسلام وراية الدفاع عن دولتهم،[4] بالإضافة إلى ما قام به ملوك الطوائف من إجراءات ضدّ ابن تاشفين حيث

(1) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 51.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون**، 249.

(3) ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ 467/8.

(4) خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 296-297، حومد ،أسعد، **محنة العرب في الأندلس**، 117.

عملوا على تعطيل تمويل جيشه الموجود في الأندلس، وكذلك رأى يوسف بأنه عمل على التضحية بكلّ ما يملك من أجل إنقاذ الأندلس من الخطر النصرانيّ في الزلاقة وحصن لبيط، ولكن ما فعله يوسف لم يعدّهُ ملوك الطوائف سوى واجبٍ دينيٍ بسبب الأخوة الإسلامية، ولم يكترثوا لذلك، واستمرّوا في النزاعات بينهم[1].

وبموجب الفتاوى الشّرعيّة التي أفتى بها فقهاء المرابطين، والفتاوى التي وردت من علماء المسلمين في المشرق من أجل زحف جيش ابن تاشفين إلى الأندلس، طلب قائد المرابطين من أمراء الأندلس بأن يتخلّوْا عن عروشهم وأن يخرجوا من الأندلس ويذهبوا إلى المغرب، استجاب بعض الأمراء لأمر قائد المرابطين فكان من قبل الاعتزال قد حصل على الإكرام من قِبل المرابطين[2].

وعندما وصل يوسف بن تاشفين الأندلس، سار في قواته نحو مدينة طليطلة عاصمة مملكة قشتالة وشدد حولها الحصار،[3](وقطع ثمارها ، وخرّبها، وقتلَ وسَبَا ، ولكن لم يأتِ أحدُ من ملوك الطوائف لمساعدته فغاظه ذلك كثيراً، ولم يستطع فتحها، لأنّ ألفونسو دافع عنها وحَصَّنها تحصيناً قوياً)[4].

(1) السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، 254-255.

(2) زيبب، نجيب، **الموسوعه العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، 287/2.

(3) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 153، السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، 256.

(4) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 153.

ضمّ غرناطة إلى حُكّم المرابطين:

اتجه ابن تاشفين نحو مدينة غرناطة، حيث كان يحكمها عبد الله بن بلقين[1]، فقد عاد ملك غرناطة إلى ما كان عليه قبل مجيء ابن تاشفين إلى الأندلس، فعمل على دفع الجزية لألفونسو السادس،[2] وكان ذلك خوفاً منه لأن ألفونسو عاد إلى استخدام أساليب الترهيب ضدّ أمراء الأندلس، فكان عبد الله يدفع له الجزية حتّى يحصل على الأمان منه، وحتى لا يقترب ألفونسو من بلاده،[3] فقد غضب يوسف بن تاشفين عندما علم، بالأمر وعدّ ذلك بأنه خيانة له وهدّده بأنه سوف يقوم بخلعه من منصبه،[4] فعمل صاحب غرناطة على تحصينها رداً لأيّ هجوم من قِبل ابن تاشفين، وفي ذلك يقول بعض شعراء عصره: ([5])

يبني على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير

دعوه يبني، فسوف يدري إذا أتت قدرة القدير

وصل ابن تاشفين غرناطة وحاصرها مدّة شهرين، وما كان من صاحبها إلا أن طلب الأمانَ منه فوافق،[6]وبذلك استطاع ابن تاشفين امتلاك غرناطة، ونفى ابن بلقين وأخاه إلى المغرب.[7]

---

(1) هو ابن باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي، أمير غرناطة إحدى دُويلات الطوائف في الأندلس المراكشي، ابن عذارى، **البيان المغرب**، 262/3.

(2) ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، 153،154، أبو الصوف، فضيل، **العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية**، 151،152.

(3) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 48/2، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب**، 154، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 51.

(4) ابن بلقين، عبد الله، **مذكرات ابن بلقين**، 127

([5]) الناصري، أحمد ، **الاستقصا**، 48/2، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 154.

(6) ابن الخطيب، لسان الدين، **أعمال الأعلام**، 250/3، الصيرفي، أبو بكر، **الأنوار الجليه**، 35.

(7) القلقشندي، أحمد، **صبح الأعشى**، 258/5، العبدالات فاطمة، **الحض على الجهاد في الأدب الأندلس**، 17، عنان محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 341،342.

ضمّ اشبيلية إلى حُكّم المرابطين:

بعد ذلك وجّه أمير المسلمين يوسف أنظاره نحو مدينة إشبيلية،[1] ولكنه تعامل مع أميرها المعتمد ابن عَبّاد معاملةً مختلفةً، وذلك لأنه ساعد في استدعاء المرابطين لإنقاذها من هجمات النصارى فقد طلب ابن تاشفين من المعتمد أن يطبق أحكام الشَرع، وأن يلغيَ المظالم والمكوس، ويلتزم المرابطة والدفاع ضدّ النصارى،[2] لكنّ ابن عَبّاد امتنع عن الجهاد، وعاد ابن تاشفين إلى المغرب بعد أن ترك قائده سير بن أبي بكر ليعمل على فتح باقي المدن الأندلسية[3].

اتجه أبو بكر نحو مدينة إشبيلية معتقداً أنّ ابن عَبّاد سوف يلقاه بالحبّ والاحترام، ولكنّ ابن عَبّاد هاجمه، فأرسل أحد قادته نحو قرطبة وحاصرها وقاتل حتّى فتحها، وأصبحت بيد المرابطين، وذلك سنة 484هـ/ 1091م[4].

وأعطى ابن تاشفين بعض قادته أوامره بأن يعملوا على فتح باقي المدن والحصون الأندلسيّة ففتحوا بيّاسه،[5] وأبدة،[6] وحصن البلاط، والصخيرة [7]، واتجه كلّ قائدٍ نحو هدفه، وأقام هو بالمغرب مترقباً لما

---

(1) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 48/2، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 51.

(2) بن بيه، محمد، **الأثر السياسي للعلماء في الأندلس**، 135.

(3) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 154، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 48/2.

(4) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 49/2، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 154، وات، مونتغمري، **في تاريخ اسبانيا الإسلامية**،111.

(5) بيّاسة ياء مشددة، وهي مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيان، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 518/1.

(6) أبدة بالضَّمّ ثم الفتح والتشديد، اسم مدينة في الأندلس تعرف بأبدة العرب، الحموي، ياقوت ، **معجم البلدان** ،64/1.

(7) الصخيرة تصغير الصخرة من الحجارة، هو حصن يقع في الأندلس من أعمال ماردة، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** 395/3.

يحدث في الأندلس،[1] ولم يمضِ إلا شهر، وأصبح كلّ ما كان يملكه ابن عَبّاد في يد المرابطين عدا قرمونة وإشبيلية، ثم إتجهَ القائد أبو بكر نحو قرمونة، فحاصرها حتّى دخلها عنوةً [2].

وعندما رأى ابن عَبّاد أنّ الوضع أصبح خطيراً استنجد بألفونسو، وطلب منه أن يساعده،[3] فحاول ألفونسو السادس التصدّي للمرابطين قبل وصولهم إلى غرناطة، فأرسل حملة بقيادة البرهانس ومعه آلاف المقاتلين،[4] فلما علم سير بن أبي بكر بقدومهم اختار عشرة آلاف فارس من خِيرة رجاله، والتقى الطرفان، واندلعت بينهم حروب شديدة حتّى هزمَ المرابطون النصارى، وقتلوهم شر قِتلة[5].

عاد السير أبو بكر مرةً أخرى إلى إشبيلية وحاصرها، واستمرّ القتال والحصار فترةً من الزمن، واشتد الحصار على أهل البلدة، وعظمت الحرب، فدخلها المرابطون ونهبوا وسلبوا ما فيها،[6]وقد دافع ابن عَبّاد عن إشبيلية دفاعاً شديداً حتّى سقطت بيد المرابطين في رجب سنة 484هـ/1091م[7] وأُسر المعتمد ونُفِيَ إلى مدينة أغمات،[8] وبقي فيها حتّى تُوفيّ في شَوّال سنة 488هـ/1095م .[9]

---

(1) حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، 545.

(2) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 49/2، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 155.

(3) ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، 128/7، عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 350، بهلول، نداء **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس** ، 120.

(4) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 49/2 ، حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 545.

(5) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 221/8، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 155، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 423، حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، 545.

(6) ابن الأثير ، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 221/8، النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 148.

(7) الناصري، أحمد، **الأستقصا**، 49/2، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 155، خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 343، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 423، بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس**، 121،

(8) هي مدينة في سفح جبل تقع بالقرب من مراكش، ابن الأثير، علي، **الكامل في التاريخ**، 221/8.

(9) أبن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 221/8، الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 49/2، ابن أمير المؤمنين، إسماعيل **تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط**، 86.

وبعد إشبيلية استولى المرابطون على مدينة مرسيه، وفي سنة 485هـ/ 1092م ملكوا مدينتي دانية[1] وشاطبه[2] بعد فرار صاحبها، فملك المرابطون ما بقي من بلاد الأندلس ولم يبقَ لملوك الطوائف شيء[3].

ضمّ بطليموس إلى حُكم المرابطين:

بدأ السير أبو بكر يتّدخل بشؤون بطليموس، وذلك تمهيداً للسيطرة عليها، وفي تلك الفترة كان المتوكل صاحب بطليموس متحالفاً مع ألفونسو، فقد رأى أبو بكر أنّ صاحب بطليموس خان المسلمين نتيجة هذا التحالف،[4] فزحف جيش المرابطين باتجاهها[5] من أجل إنقاذ المسلمين من خيانة مَلِكِهِم وغطرسته، حاصر الجيش المرابطيّ المدينة، ولم يستطع ألفونسو تقديم المساعدة لصاحبها المتوكّل، ويبدوا لنا أن المتوكل بن الأفطس قد أعاد علاقاته مع الملك النصراني قبل هذه الحادثة بفتره، حيث فيُذكر أنه تنازل للملك ألفونسو عن ثلاث مدن مهمّة من أملاكه، وهي لشبونة، وشنتره، وشنترين،[6] وبعد ذلك تمّ السيطرة على مملكته بسهوله،[7] فقد اتفق المرابطون مع سكانها الناقمين على حاكمهم أن يفتحوا أبواب بطليموس

(1) مدينة تقع بشرق الأندلس، على بحر عامرة حسنة، عليها سور حصين، ولها قصبة منيعة، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 231-232.

(2) بالطاء المهملة، والباء الموحدة، مدينة تقع شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة،الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 309/3.

(3) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 50/2.

(4) نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 134.

(5) ابن خلكان، شمس الدين، **وفيات الأعيان**، 123.10/7

(6) Fangnan, Extraits Inedits Relatifs Au Maghred, 87

(7) نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 134.

ليلاً، فدخلها المرابطون في سنة 487هـ/1094م، وألقي القبض على المتوكل وأُعدِمَ هو وأبناه الفضل والعباس. [1]

ضمّ بلنسيه إلى حُكّم المرابطين:

أثار سقوط بلنسية بيد الإسبان عام 489هـ/ 1095م موجةً كبيرةً من السّخط في صفوف مسلمي الأندلس، وعمّ الحزن في الأندلس كما حدث في يوم سقوط طليطلة ،[2] أرسل ابن تاشفين جيشاً بقيادة ابنه محمد بن عائشة لاسترجاع المدينة من يد الإسبان ، انضمّ للجيش المرابطي قوةٌ من قوات الأندلس، وحاصر الجيش المرابطيُّ المدينة لمدةِ عشرةِ أيام، قاوم القمبيطور الحصار حتّى استطاع إبعاد المرابطين عن أسوار المدينة، اتبع أسلوب المناورة فقد خرج من المدينة وعمل على الاستيلاء على بعض الحصون المجاورة لها، ثمّ عاد إلى داخل المدينة، وجمع المسلمين في القصر، وعرضهم أمام المرابطين، وطلب منهم مبلغ سبعمائة ألف، أو أنّ يقتلَهم، فأغلق عليهم القصرَ وأصبحوا كأنهم بسجن، وسلّط عليهم أحد أتباعه من اليهود يبتزهم ويعذبهم واستمرّ الوضع كذلك حتّى تُوفيّ القمبيطور عام 492هـ/ 1099م،[3] واستنجد النصارى بألفونسو إذ جاء لمساعدتهم، وأقام بها شهراً،[4] وفي تلك الفترة جهّز ابن تاشفين جيشاً مرابطياً

(1) بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس**، 122.
(2) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 4/149-150.
(3) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 4/150-151، نصر الله، سعدون، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، 140.
(4) ابن الصيرفي، أبو بكر، **الأنوار الجلية**، 38، مؤنس ، حسين، **موسوعة تاريخ الأندلس**، 2/74.

بقيادة الأمير مزدلي[1] ونزل على المدينة[2]، والتقى الجيشان، فدارت بينهما معركة حاميةَ الوطيس، فانسحب ألفونسو وأحرق المدينة وبعد ذلك دخلها الأمير مزدلي عام 495هـ/1102م[3].

وبذلك ملك المرابطون ما بقي من بلاد الأندلس،[4] عدا سرقسطة لأصحابها بني هود، وهكذا انتظمت بلاد الأندلس، وأصبحت ملكاً لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فلم يَتَبَقّ لملوك الطوائف أيّ مكان في الأندلس، وأصبحت مهمة الدفاع عن الإسلام في الأندلس مسؤولية المرابطين، فقد أصبحت الأندلس ولايةً في الإمبراطورية المرابطية [5].

العبور الرابع ليوسف إلى الأندلس:

في عام 496هـ/ 1103م، عبر أمير المسلمين يوسف مرة رابعة إلى الأندلس،[6] ففي البداية أظهر بأنّ عبوره من أجل تفقّد أحوال الأندلس والنظر في مصالحها وترتيب أمورها الإدارية،[7] ولكن سرعان ما

---

(1) هو القائد المرابطي المشهور، أبو محمد مزدلي بن سلكنان، الذي استرجع للإسلام مدينة بلنسية، بعد أن استولى عليها القنبيطور، نحو ثماني سنوات ، تدرج مزدلي في مختلف مناصب القيادة والولاية في الأندلس ، ابن قطان، حسن، **نظم الجمان** 74.

(2) ابن الصيرفي، أبو بكر، **الأنوار الجلية**، 38، خليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 414،

(3) وات، مونتغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، 111.

(4) النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 149.

(5) الناصري، أحمد، **الاستقصا**، 51/2، المراكشي، عبد الواحد، **المعجب**، 122-123، حتامله، محمد، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنه**، 545، الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 1/ 113-114.

(6) ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون**، 250/6، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 56، خليفه، حامد ، **يوسف بن تاشفين**، 432، محمود، حسن، **قيام دولة المرابطين**، 321.

(7) خليفه، حامد ، **يوسف بن تاشفين**، 432.

ظهرت نيته للجهاد، حيث جهز جيشاً كبيراً، وسار الجيش نحو طليطلة، والتقى بالقشتاليين بقيادة ملكهم ألفونسو السّادس، فهُزم جيش النصارى هزيمةً فادحةً[1].

وبعد ذلك توجّه ابن تاشفين إلى قرطبة من أجل أخذ البيعة لابنه عليّ، فجمع أمير المسلمين يوسف أمراء لمتونة وأشياخ المرابطين والفقهاء، وأخذ البيعة لولده[2] علي بن يوسف بن تاشفين[3] وفي أواخر عام 498هـ/1105م، مرض أمير المسلمين ابن تاشفين وهو في مراكش، واشتدّ مرضه حتّى تُوفيّ في محرم عام 500هـ/ 1106م،[4] عن عمرٍ قارب المئة عام[5].

خلاصة القول قدّمَ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين دوراً كبيراً وبارزاً في القضاء على تسلّط ملوك الطوائف وهيمنتهم، فقد تميز ابن تاشفين ببسالته وقوته التي ظهرت في أثناء جوازه إلى الأندلس عدة مرات، وقد كان له الفضل العظيم في إنهاء حكم هؤلاء الطغاة المتسلّطين، وبدخوله الأندلس استطاع توحيدها تحت سقف المرابطين، فنجد أن ملوك النصارى رأَوْا أنّ أفضل وسيلة لأخذ الأندلس من المسلمين ليس الحرب مع ملوك الطوائف، وإنما الحصول على أكبر قدر من الأموال من خلال أخذ الجزية منهم، والتحالف معهم ضدّ المرابطين، فكان ذلك التحالف مع النصارى السبب الرئيسيّ الذي دفع يوسف بن تاشفين إلى القضاء عليهم، بالإضافة إلى أنّ سياستهم التعسفية والفوضى والتناقض من قبل ملوك

---

(1) عنان، محمد، **دولة الاسلام في الأندلس**، 371، حليفه، حامد، **يوسف بن تاشفين**، 433.

(2) ابن أبي الزرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 158، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 56.

(3) هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن منصور بن مصالة الصنهاجي اللمتوني، يكنى أبا الحسن بويع له يوم وفاة ابية في مراكش، تسمى بأمير المسلمين، ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب**، 157، مؤلف مجهول، **الحلل الموشية** 61.

(4) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض االقرطاس**، 156، عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 372، خليفه، حامد **يوسف بن تاشفين**، 438 الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 114/1.

(5) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 158.

الطوائف، كان أيضاً سبباً رئيسياً في انهيار حكمهم ونهاية وجودهم، وبذلك فتحوا المجال للمرابطين أن يوحدوا الأندلس تحت راية الإسلام .

جهاد المرابطين ضدّ الممالك النصرانية:

بعد وفاة يوسف بن تاشفين تولّى الحكمَ من بعده ابنهُ عليّ بن تاشفين، الذي سار على نهج والده في توحيد الأندلس وتخليصها من حكم النصارى، فقد عَبَرَ إلى الأندلس عدّةَ مراتٍ من أجل تفقّد أحوالها ومن أجل الجهاد ضدّ الممالك النصرانيّة، حيث اندلعت عدة معارك بينه وبين النصارى في عدة مناطق في الأندلس من أجل استردادها وعودتها إلى حضن الدولة الإسلامية، وسأعرضُ في هذا السياق لبعض هذه المعارك والنتائج المترتّبة عليها.

عبر عليّ بن تاشفين إلى الأندلس للمرة الأولى عام 500هـ/ 1106م، حيث ذهب من أجل تفقّد أحوالها وسدّ ما بقي فيها من خلل، وأخذ الجزيرة الخضراء،[1] وقبل أن يتقدّم أمير المسلمين عليّ بن تاشفين على تنفيذ خططه للجهاد ضد الممالك النصرانية، أراد أن يطمئنَّ على الجبهة الأندلسيّة التي ستكون مركز انطلاقه، فعندما جاز إلى الأندلس عام 500هـ/ 1106م،[2] نقلَ العاصمة الأندلسية من قرطبة إلى غرناطة، وعيّن أخاهُ (تميماً) والياً عليها، وجعله قائداً عامّاً للقوات المرابطيةّ وبذلك اطمئنّ أمير المسلمين عليّ بأنّ جبهة القتال أصبحت مستعدّةً للجهاد ضدّ الممالك النصرانية[3].

(1) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 62.

(2) الهرفي، سلامه، **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين**، 201.

(3) نفسه، 202.

معركة إقليش:

في عام 501هـ/1107م، وجه أمير المسلمين عليّ أخاه تميماً بجيش كبيرٍ إلى أقليش[1]، فبدأ تميم يُعِدّ العِدة من أجل الجهاد، واستطاع أن يجهزَ جيشاً كبير العدد والعُدّة، وخرج من غرناطة متوجهاً لغزو أراضي قشتالة،[2] فنزل في مدينة جيان،[3] وبقي فيها عدة أيام، وكانت الإمدادات تتوالى على قواته، وبعد ذلك تابع مسيره نحو أراضي قشتالة، وبعد مسيرة حوالي عشرين يوماً وصلت القوات المرابطية إلى أقليش، وحاصرت المدينة،[4] وعندما سمع ألفونسو بقدومه أرسل ابنه سانشو للقائهم،[5] فوصلت جيوش النصارى بأعدادٍ كبيرةٍ إلى مدينة أقليش، التقى الفريقان واندلعت بينهم حروب عظيمة، [6] أراد تميم الفرار عن المدينة إلا أن القوات المرابطية أصرّت على القتال وهزم الله العدو ونصر المسلمين، وقُتِلَ ابن ألفونسو السادس،[7] ودخل المسلمون إقليش بالسّيف، واستُشهِد عددٌ كبيرٌ من المسلمين في المعركة، وعندما علم ألفونسو بقتل ابنه ودخول القوات المرابطية مرض ومات، وكتب تميم لأخيه علي يبشّره بالفتح[8].

---

(1) هي مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، وهي مدينة حديثة بناها الفتح بن موسى بن ذي النون، وفيها كانت ثورته وظهوره في سنة ستين ومائة، تقع على نهر منبعث من عين رأس المدينة ، الحميري، محمد، **الروض المعطار**، 51-52.

(2) ضيف ، شوقي، **عصر الدول والإمارات في الأندلس**، 40، الهرفي، سلامه، **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين**، 205.

(3) هي مدينة في الأندلس، كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، بها جنات وبساتين ومزارع وغَلّات القمح والشعير، تقع على سفح جبل عالٍ جداً ، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 183.

(4) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 160، مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي**، 19- 20.

(5) ابن القطان، حسن، **نظم الجمان**، 64، الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 114.

(6) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، 160.

(7) ابن أبي الزرع، **الأنيس الطرب بروض القرطاس**، 160، ابن القطان، حسن، **نظم الجمان**، 66، السامرائي، خليل، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، 258، سالم، عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، 649.

(8) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب**، 160، ابن قطان، حسن، **نظم الجمان**، 66، مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي** 20، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 425.

وبعد وفاة ألفونسو السادس، لم يسترح المسلمون منه، حيث جاء من بعده ألفونسو الأول الملّقب بألفونسو المحارب، حيث أكمل مسيرة ألفونسو السادس في قتال المرابطين[1].

في عام 503هـ/ 1109م، سار أمير المسلمين بجيش ضخم وتوجه نحو طليطلة ، ففتح عدة مدن وحصون، وشنَّ المرابطون عدّة حملاتٍ على طليطلة خلال السنوات المتتالية، لكن لم يصلوا إلى نتيجه.[2] وبعد ذلك نشبت عدة معارك بين المرابطين ومعهم الجيش الأندلسيّ، ضدّ قوات قشتالة وانتصر المرابطون في أكثرها، وخسر المرابطون بعضها[3].

غزو طلبيرة:

توجّه عليّ بن يوسف بن تاشفين مع جيشٍ من المرابطين وجماعةِ والمتطوّعين نحو طلبيرة،[4] وصلوا إليها عام 503هـ/1109م، قاتل أهل المدينة قتالاً شديداً، واجتهدوا في الدفاع عنها، وكان من الصّعب على المسلمين دخول المدينة بسبب وجود وادٍ متّصلٍ بسورها، ولكن استطاع المسلمون خرقَ السّدّ حتّى تسرّبَ الماء عن السُّور، ودخلُوا المدينة وقتلوا جميع مَن بها من نصارى، وبهذا استطاع المسلمون السيطرة على المدينة وضمّها إلى المسلمين[5].

---

(1) مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي**، 22.

(2) الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 426، مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي**، 20-21.

(3) الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**،426.

(4) هي مدينة أقصى ثغور المسلمين في الأندلس، وهي مدينة قديمة تقع على نهر تاجه، وهي مدينة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصناً وهي مدينة واسعة ، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 395.

(5) ابن قطان، حسن، **نظم الجمان**، 69، 70، لسان الدين، ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، 254/3.

عاد المرابطون لمحاصرة طليطلة مرةً أخرى ولكن لم يفتحوها،[1] وفي أثناء استمرار الحصار على طليطلة كانت الغزوات والفتوحات المرابطية مستمّرةً، حيث سار الجيش المرابطي بقيادة الأمير سير بن أبي بكر صوبَ الغرب إلى أراضي البرتغال، فسار نحو بطليموس، وزحف نحو يابرة[2] وفتحها فوراً، ثمّ اتجه نحو لشبونة فاستولى عليها هي وضاحيتها شنترة،[3] وسار بعد ذلك نحو الشمال واستولى على مدينة شنترين، وكان ذلك عام 504هـ/1110م[4].

وفي سنة 507هـ/ 1113م، غزا الأمير مزدلي طليطلة وأنحاءها، وفتح عدة حصون بها عنوة وقتل كلّ مَن كان في الحصون من رجال، ولما وصل الخبر إلى ملك النصارى، فجاء من أجل نصرتهم وإنقاذهم وعندما سمع مزدلي بقدومه قصد لقاءه، لكنه هرب من أمامه ليلاً، وعاد مزدلي إلى قرطبة يحمل الغنائم، وتُوفيّ الأمير مزدلي سنة 508هـ/1114م[5].

وفي سنة 509هـ/1115م، ملك أمير المسلمين عليّ بن يوسف الجُزرَ البحريّة من شرق الأندلس [6]، وفي العام نفسه تحركت القوات الإسلاميّة بقيادة عليّ بن يوسف لغزو قلمريه، وحاولت قوات إشبيلية

---

(1) Saavedra, Ed uardo, **Estudio Sobre La Invasion Los Arabes On Espana**, 98

(2) هي مدينة في كور باجة في الأندلس، وهي مدينة قديمة، وتنتهي أحواز باجه فيها حواليها مائة ميل، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 615.

(3) هي من مدائن لشبونة في الأندلس، تقع على مقربة من البحر، لها حصنان في غاية المنعة، وبينها وبين البحر قدر ميل، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 347.

(4) ابن أبي الزرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 161. بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس**، 123، مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي**، 20-21.

(5) ابن ابي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 163، الهرفي، سلامه، **الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين**، 219.

(6) ابن أبي الزرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 16

مساندته، ففتحها وعاد إلى إشبيلية،[1] ولكنّه لم يحتفظ بها، وذلك بسبب موقعها النائي وصعوبة الاحتفاظ بها في منطقة يحيط بها النصارى[2].

سقوط سرقسطة :

ذكرنا سابقاً أن سرقسطة كانت هدفاً لأطماع النصارى، ففي عام 478هـ/ 1085م، حاصر ألفونسو السادس ملك قشتالة سرقسطة، وحاول الاستيلاء عليها وضمها إلى حكمه، واستمرّ في حصارها إلى أن علم بقدوم المرابطين إلى الأندلس من أجل الجهاد، حينها فكّ ألفونسو السادس الحصار عنها وغادرها هو وقواته فوراً[3].

وفي عام 489هـ/1095م، وصل المرابطون إلى الأندلس واستولَوْا على سرقسطة، حيث جعلوها فاصلاً بينهم وبين النصارى،[4] وفي عام 504هـ /1110م، سار ألفونسو نحو سرقسطة وحاول مهاجمتها، إلى أنَ نشبَ خلاف بينه وبين زوجته فاستغل المرابطون هذا الوضع، وحالوا دون وقوعها بيد ألفونسو[5].

وفي سنة 511هـ/ 1117م، كان وضع المرابطين حرجاً، وذلك بسبب وفاة كبار قادتهم واستشهاد زهرة رجالهم في تلك الحروب مع النصارى،[6] فجاز عليّ بن يوسف بنفسه إلى الأندلس، ونزل بقرطبة، وعُيِنّ

---

(1) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 62-63.

(2) بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس**، 123.

(3) عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 88.

(4) Saavedra, Ed uardo, **Estudio Sobre La Invasion Los Arabes On Espana**,102

(5) عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 88.

(6) مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي**، 26.

قائداً للجيوش المرابطية،[1] وفي سنة 512هـ/1118م حاصر ألفونسو المحارب سرقسطة وضيق الخناق على أهلها، واستمرّ الحصار مدة سبعة أشهر،[2] ويصف ابن أبي الزرع الحملة فيقول: (بأنها كانت أمم كالنمل والجراد فنزلوا معه وشرعوا في القتال)[3].

وعندما علم عليّ بن يوسف بقدوم ألفونسو ومحاصرته لسرقسطة، كتب إلى أمراء غرب الأندلس يطلب منهم المسير نحو أخيه تميم ،والتوجّه نحو سرقسطة وإنقاذها،[4] تجّمع عددٌ كبيرٌ من الجيوش لمواجهة جيش النصارى، ورغم ال+خلافات بين الطرفين، واستمرّ القتال بينهما حتّى هُزِمَ ألفونسو المحارب وأُخرِجَ من سرقسطة[5].

وبعد ذلك عاد تميم إلى مراكش، حيث كانت الأمور مضطربةً بها، فاستغلّ ألفونسو المحارب وعاد لحصار سرقسطة مرةً أخرى، وضرب حصاراً عليها،[6] فقال ابن أبي الزرع: (نَزل معه بها جيش النصارى وشرعوا في قتالها وصنعُوا أبراجاً من خشب تجري على بكارات وقربوها منها، ونصبوا فيها

---

(1) ابن ابي الزرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 163، شاكي، عبد العزيز، **الصراع المرابطي الأرغوني أيام علي بن يوسف**، مج24 عد 3، 1492.

(2) الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 317، الحساني، فايزه، **مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها** 138.

(3) **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 163، الحساني، فايزة، **تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها**، 138.

(4) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 163، بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس**،125 –126.

(5) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، 163، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 428، الحساني، فايزة، **تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها**، 139.

(6) عبد المنعم، حمدي، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، 187، مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي**، 27.

العرادات، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً، ووقع طمعهم فيها، فاستمرّ الحصار عليها حتّى فنيت الأقوات، وفني أكثر الناس جوعاً)[1].

راسل أهالي سرقسطة ألفونسو المحارب ، وطلبوا منه رفع الحصار عنهم، وذلك بعد خذلان اخوانهم المسلمين لهم، حيث رفض تميم القدوم من أجل مساعدتهم وفضّل عدم التدخّل بشؤونهم وما كان من سُكّان سرقسطة إلا أن استسلموا وسلّموا المدينة لألفونسو، وخرجوا إلى مدينة مرسيه ودخلها فوراً النصارى،[2] وبعد دخولهم لحقت جيوش المرابطين بهم من أجل إنقاذ المدينة، ولكن دون جدوى وذلك لأنها أصبحت مدينةً نصرانيةً ، وهكذا سقطت قاعدة الإسلام سرقسطة في شرق الأندلس سنة 512هـ/1118م، حيث عجز المرابطون عن استرداها[3].

بعد أن استولى ألفونسو المحارب على سرقسطة، قام بتنظيم شؤونها، وقرر أن يعمل على افتتاح ما بقي من قواعد الأندلس، فسار هو وقواته نحو مدينة طرسونة،[4] فاستولى عليها وأعاد بها مركز الأسقفية

(1) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، 163، مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي**، 27.

(2) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 163، حسين، حمدي، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**،188، الحساني، فايزه، **تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها** 142-141.

(3) مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي**، 27، الحساني، فايزه، **تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها**، 142.

(4) هي مدينة في الأندلس ، كانت مستقر العمال والقواد في الثغر الأعلى، وكان أبو عثمان اختارها محلاً وآثرها على مدن الثغر منزلاً الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 389.

القديمة، ثم سار نحو مدينة برجة واستولى عليها، واستولى أيضاً على قلعة أيوب، واستطاع أن يفتتح عدداً من الحصون والبلاد في تلك المنطقة، وكان ذلك سنة 513هـ/ 1119م [1].

خلاصة ما سبق يُعزى سبب سقوط سرقسطة إلى تقاعس قائد المسلمين تميم عن نصرة إخوته المسلمين في سرقسطة، حيث فضّل البقاء في مراكش على أن يساند أهالي سرقسطة وإخراجهم من محنتهم، فلم يكن هناك خيار أمام أهالي سرقسطة إلا أن سلموها لعدوهم ألفونسو المحارب والخروج منها، فلو أنّ تميماً أقبل على مساعدتهم لما خرجت سرقسطة من حضن الدولة الإسلامية، وأصبحت بيد أعدائهم، إضافة إلى إصرار النصارى واستمرار محاولاتهم لاحتلال المدينة، إلى أن تحقق هدفهم واستولوا عليها.

موقعة كتنده:

حدثت موقعة كتنده يوم الخميس عام 514هـ/1120م، بقيادة إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، أخ الأمير عليّ بن يوسف، مدينة تُسمىّ كتنده،[2] نشِبت بين الفريقين معركة عنيفة كان أمير المسلمين عليّ بن يوسف في وقتها بقرطبة، ومعه جيشٌ كثيرٌ من المسلمين والأجناد المتطوّعة، اقتتل الفريقان أشدّ اقتتال، هُزم فيها المسلمون هزيمةً شديدةً، واستُشهِد فيها آلاف المسلمين، وكان منهم العلماء والفقهاء،[3] وفي مقدمتهم القاضي العلامة الشهير أبو عليّ الصدفي[4]، وبعد هذه الهزيمة التي تعرّض لها المسلمون عاد

(1) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 163، الحساني، فايزه، **تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها**، 144، بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس**، 126.

(2) يقال أيضاً قتندة بحرف القاف وهي بلدة صغيرة تقع على مقربة من دورقة ، وهي من أعمال سرقسطة في الثغر الأعلى المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 460/4.

(3) ابن الأثير، علي، **الكامل في التاريخ**، 206/9، بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس** 126.

(4) وهو حسين بن محمد بن فيرة بن حيون، يُعرف بابن سكرة الصدفي، وهو من أهل سرقسطة وسكن مرسيه، المقري،أحمد **نفح الطيب**، 90/2.

المرابطون إلى بلنسية، وبعد هذه المعركة استولى ألفونسو على قلعة دورقة، وأنشأ فيها قلعة لتكون حاجزاً لصدّ الجيوش الإسلامية القادمة من مرسية وبلنسية[1].

وفي عام 519هـ/ 1125م، خرج ألفونسو إلى بلاد المسلمين في الأندلس، حيث طلب النصارى الموجودون بغرناطة من ألفونسو دخول المدينة، خرج ومعه أربعة آلاف فارس،[2] وخرج متّجهاً نحو بلنسية، حيث كان بها مجموعة من المرابطين، فبدأ بالقتال،[3] وقام بحرق القرى والزرع، ثم تحرك إلى دانية[4] وشنّ غاراتٍ عليها، ثمّ صعد إلى برشانة[5]، ومنها توجّه نحو بسطة[6]، استمّرت الحروب والصراعات بين المسلمين والنصارى ووقعت بينهم العديد من المعارك، واستطاع النصارى السيطرة على الكثير من المناطق في الأندلس[7].

وقعة القلاعة:

بعد أن عاد ألفونسو المحارب من معركته في الأراضي الأندلسيّة، أراد امتلاك باقي مناطق الثغر الأعلى، فعاد إلى نشاطه من جديد، حيث كان يملك المسلمون من الثغر الأعلى المنطقة الواقعة شرق سرقسطة،

---

(1) المقري، أحمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 90/2، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 429، عنان محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 104.

(2) عبد المنعم، حمدي، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس**، 193.

(3) بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس** ، 126.

(4) هي مدينة تقع شرق الأندلس، وتقع على البحرَ عليها سورٌ حصينٌ، ولها قصبة منيعة جداً ، الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 231- 232.

(5) بالفتح وبعد الألف نون ، وهي من قرى إشبيلية بالأندلس، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 384/1.

(6) بسطة بالفتح، وهي مدينة بالأندلس من أعمال جيان، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 423/1.

(7) مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، 69-70، الشاكي، عبد العزيز، **الصراع المرابطي الأراغوني أيام علي بن يوسف** 149

والتي كان من أهمّ قواعدها لاردة[1] وأفراغة[2]، وقد رغب ألفونسو بأن يقوم بإجلاء المسلمين من هذه المنطقة والسيطرة عليها،[3] فجهز ألفونسو جيشاً من أجل السيطرة على لاردة وأفراغة، وعندما وصل الخبر إلى أمير المسلمين عليّ بن يوسف أمر بتجهيز الجيش، وقال ابن القطان: (فسقط على الرعية يغزون في العساكر، وكان قسط أهل فاس منها ثلاثمائة.غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، يخرجون ذلك من أموالهم، ففعلوا ومضت الحشود إلى مرسيه)[4].

توجهت جميع الجيوش إلى مدينة مرسيه، واشتبكت القوات المرابطية مع قوات النصارى في قتالٍ عنيفٍ، قرب موضع يعرف باسم (القلعة) أو (القلاعة)،[5] وذلك سنة 523هـ/1128م، تعرّض المسلمون في هذه المعركة إلى هزيمة فادحةٍ، حيث وقع معظمهم قتلى وأسرى، وسيطرت القوات النصرانية على كافة أسلحتهم ومتاعهم، وبلغت خسارة المسلمين حوالي اثني عشر ألفاً بين قتيلٍ وأسيرٍ[6].

بعد هذه الموقعة توجّه ألفونسو المحارب نحو بلنسية، وما كان من قاضي المدينة إلا أن أرسل رسالة إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يستغيثه، فرد عليه برسالة وَضَحَ فيها الهزيمة التي تعرّض لها المسلمون، وأنّ سببها هو تخاذلهم وعدم مساعدتهم للمرابطين، وذكر في الرسالة لأهل بلنسية أنه سوف يساعدهم،

---

(1) مدينة مشهورة بالأندلس، وهي من أعمال ماردة وهي كثيرة الزيتون، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، 7/5.

(2) مدينة في الأندلس تقع غربي لاردة، بينهما ثمانية عشر ميلاً، تقع على نهر الزيتون ، لها حصن منيع، الحميري، محمد **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 48.

(3) ابن القطان، حسن، **نظم الجمان**، 152.

(4) ابن القطان، حسن، **نظم الجمان**، 152، عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 116.

(5) تعرف بواقعة قلبيرة وهي قرية تقع على ساحل البحر المتوسط على مسافة بضعة كيلو مترات من شرق شقر، ابن القطان، حسن **نظم الجمان**، 154.

(6) ابن القطان، حسن، **نظم الجمان**،154،153.، الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**،1/ 116.

وسيرسل إليهم الأقوات وما إلى ذلك، ولكن نجد أن ألفونسو المحارب اكتفى بالنهب والتخريب، ولم يحاول مهاجمة المدينة[1].

بعد هزيمة المسلمين في وقعة القلاعة، اندلع صراع مسلّح بين مملكة أرغوان وبين قشتالة، وانتهى عام524هـ/ 1130م، وبقى ألفونسو المحارب يفكّر بالاستيلاء على لاردة وأفراغة[2].

موقعة إفراغة:

بعد أن تغلب ألفونسو المحارب على العديد من مناطق الأندلس وضمها إلى حكمه، أراد السيطرة أيضاً على إفراغة، وإخراج المسلمين منها، فجهّز جيشه ونزل عليها، وفرض الحصار عليها في سنة 528هـ /11134م،[3] يقول الحميري: (وحاصرها العدوّ في جمعٍ كثيبٍ، وآلى زعيمهم ابن رذمير على نفسه ألا يبرحَ حتّى يأخذها عنوةً وذلك سنة ثمان وعشرين وخمسمائة في رمضان منها)،[4] واتفق ابن القطّان مع الحميري في تحديد موعد الموقعه، فقال: (وفي هذه السنة 528هـ/1134م، نازل ابن رذمير إفراغة)،[5] أما ابن الأثير فجعل المعركة سنة 529هـ/1135م،[6] تشكلت القوة الإسلاميّة من ألف فارس، جاءت من

(1) ابن القطان، حسن، **نظم الجمان**، 154، عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 117، الجيوسي، سلمى، **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، 116/1.

(2) عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 117.

(3) ابن القطان، حسن، **نظم الجمان**، 244.

(4) الحميري، محمد، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 48.

(5) ابن القطان، حسن، **نظم الجمان**، 244.

(6) ابن الأثير ، عز الدين، **الكامل في التاريخ** ، 287/9

قرطبة، وخمسمائة جاء بها يحيى بن غانية،[1] ومائتي فارسٍ من لاردة، إضافة إلى القوات المرابطية في إفراغة[2].

اشتبكت القوات المرابطية مع قوات ألفونسو، تصدى والي لاردة للقوات النصرانية، واشتد القتال فيما بينهم، وكثر القتل في صفوف النصارى، وفي الوقت نفسه خرج أهل إفراغة إلى خيام النصارى وقاموا بالقتلَ والسّلبَ والنهب لكل ما في الخيام من أسلحةٍ ومتاعٍ، وانهزمت القوات النصرانية في هذه المعركة[3].

أما ألفونسو فقد عاد إلى مدينة سرقسطة، فلما رأى أصحابه قد قُتِلوا شرّ قِتلة مات مفجوعاً بعد عشرين يوماً،[4] ويقول ابن عذارى بأنه قُتل في السنة ذاتها دون أن يذكر تفاصيل موته[5].

كان لنصر المرابطين في إفراغة، صدًى عميقٌ في جميع أنحاء الأندلس، فعادت بعد ذلك سمعة المرابطين العسكرية، إلى ما كانت عليه سابقاً. وكان من نتائج موقعة إفراغة وهلاك ألفونسو المحارب، أن ذهب الخطر النصراني مدةً من الزمن، وذلك في المناطق التي يسيطر عليها المسلمون في الأندلس، حيث اختفت في ميدان الصّراع بين النصارى والمسلمين، شخصية خطرة كانت تُهدّد الوجود الإسلاميّ في

---

(1) هو أبو زكريا يحي بن علي بن غانة الصحراوي، وغانة اسم امه، اشتهر ببسالته وشجاعته، ابن القطان، حسن، **نظم الجمان** 245.

(2) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 287/9، الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 437.

(3) الشاكي، عبد العزيز، **الصراع المرابطي الأرغواني أيام علي بن يوسف**، 1494، السويدان، طارق، **الأندلس التاريخ المصور**، 321، أبو الفضل، محمد، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي**، 78.

(4) ابن الأثير، عز الدين، **الكامل في التاريخ**، 287/9، بهلول، نداء، **جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس** 127.

(5) ابن عذارى، **البيان المغرب**، 91/4.

الأندلس، فحيث كان ألفونسو قوياً، وصعب المراس، فقد استطاع في عهده أن يوطّد حُدود مملكته، ولكن بموته تحقّق النصر للمسلمين، وذهب ذاك الخطر الكبير من طريقهم[1].

وفي سنة 528هـ/ 1134م، جهّز ألفونسو المحارب جيشاً ضخماً ،واتجه به نحو بطليموس وكان تاشفين بن عليّ على رأس قوة عسكرية من أجل لقائه، واندلعت معركةٌ عنيفةٌ قرب سهل الزلاقة هُزم فيها النصارى هزيمة نكراء، والتقى تاشفين بن عليّ[2] مع النصارى في عدة معارك وهزمهم فيها،[3] وفي سنة 532هـ/1137م، عاد تاشفين بن عليّ إلى المغرب من أجل عقد البيعة له لولاية العهد[4].

وفي سنة 537هـ/ 1142م، تَوفيّ أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وَولي العهد من بعده ابنهُ تاشفين بن عليّ [5].

يظهر لنا مما سبق أن الحرب كانت سجالاً بين المرابطين والممالك النصرانية، حيث كان المسلمون يَهزمون النصارى في بعض المعارك، كما دبّت بهم الهزائم في بعضها الآخر، ويظهر لنا من خلال المعارك التي دارت أنّ العبء الكبير في قتال النصارى قد وقع على المرابطين، حيث لعبوا دوراً كبيراً في الدفاع عن المناطق الأندلسيّة، أكثر من سُكّان الأندلس أنفسهم، فقد كانوا في بعض الأحيان يتذمرون إذا سيطر النصارى على منطقةٍ معينةٍ، ويقومون بالثورة ضدّ الحُكّام المرابطين وبالرغم من الجهود التي بذلها المرابطون في الدفاع عن أراضي الأندلس، إلا أنّ الثوراتِ بدأت تنشب ضدهم في العديد من مناطق

---

(1) عنان، محمد، **دولة الإسلام في الأندلس**، 125-126.

(2) هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، أحد رجالات المرابطين شجاعة وبلاء في الأندلس، وزهداً وصالحاً، ولاه أبوه على إمارة غرناطة سنة 523هـ/ 1129م، ابن بسام، علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، 407/3.

(3) الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي** ، 439.

(4) ابن أبي الزرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، 165.

(5) **نفسه**. 165.

الأندلس، وبالرغم من كلّ ذلك، فقد شكّل جهاد المرابطين ضد الممالك النصرانية صفحةً مشرقةً من صفحاتِ التاريخ، وتبين لنا مدى قوة جند المسلمين ومدى صموده من أجل استرداد الأندلس وإيقاف زحف النصارى نحو مدنها.

نهاية دولة المرابطين في الأندلس:

تعددت العوامل التي أفضت إلى إضعاف المرابطين، حيث كان ضعف الأمراء الذين تولَوْا بعد عليّ بن تاشفين، وظهور نشاط الموحدين في المغرب من الأسباب التي قادت إلى إضعاف المرابطين.

وتعرّضت القوات المرابطية إلى هزائم متكررة أمام القوات الإسبانية، حيث استطاعت الممالك الاسبانية احتلال أهمّ المدن والقواعد الأندلسيّة تباعاً،[1] ومن أسباب ضعف المرابطين أيضاً قيام حركات تمرّدٍ ضدّهم عُرفت باسم حركات المريدين،[2] حيث قامت هذه الحركات في معظم مناطق الأندلس، وكان أغلب الثوار ضدّ المرابطين العلماء والفقهاء وأعلام الأدب[3].

ففي عام 539هـ /1144م، سقطت دولة المرابطين في الأندلس، وبدأ عصر الموحّدين، وبهذا تكون دولة المرابطين قد انتهى وجودها في الأندلس وغاب شمسها وانطفأ نورها[4].

---

(1) الحجي، عبد الرحمن، **التاريخ الأندلسي**، 439.

(2) هي حركة ظهرت في الأندلس، خاّصة في غرب الأندلس، كانت بقيادة شخص يُسمىّ أحمد بن قسي، كان في البداية يَدعي الإلهية، كما قامت هذه الحرة من مجموعة من دعاة الفتن ورؤوس الضلالات، واتبعهم العديد من الجُهّال، المراكشي، عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، 155.

(3) السامرائي، خليل ، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، 264.

(4) حومد، أسعد، **محنة العرب في الأندلس**، 118.

ويتضح ممّا سبق أنّ سبب سقوط دولة المرابطين في الأندلس هو الثورات التي قامت ضدّهم في العديد من المناطق الأندلسيّة، بالرغم من أنهم بذلوا كلّ ما بوسعهم من أجل الحفاظ على الإسلام في الأندلس، ومن أجل إيقاف التمدّد النصراني فيها، إلا أن سُكّان الأندلس بدؤوا بتلك الثورات لِما لمسوه من بداية لضعف القادة المرابطين، وكثرة الهزائم التي تّعرضوا لها، وبذلك أدت تلك الثورات إلى انهيار سلطان المرابطين في الأندلس، بعد أن كَوْنوا دولةً كانت في بداياتها كبيرةً وقويةً.

الخاتمة

بعد تسليط الضَّوْء على الجهاد المرابطيّ في الأندلس يمكننا أن نستنتج ما يلي:

- عاشت الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية في القرن الخامس الهجريّ، فترةً من الفوضى والانحلال فقد قُسِّمت إلى دويلات متناحرةٍ فيما بينها سُمِّيت بملوك الطوائف، حيث كان أمراء هذه الولايات في صراعٍ دائمٍ فيما بينهم، واندلعت بينهم حروبٌ أهليةٌ أثرت بشكلٍ سلبيٍّ على بلادهم الأندلس.
- أسفرَ ظهور دول الطوائف عن سوء الأحوال السياسيّة، والاقتصاديّة، فقد أفضت كثرة الحروب بينهم إلى انقسام الأندلس إلى دولٍ مستقلةٍ كثيرةِ العدد، كان بعض هؤلاء الأمراء يحاول الاحتفاظ باستقلالهم عن بعضهم والانفراد في الحكم بعيداً عن الطّرف الآخر، وأدى ذلك إلى زيادة حدّة الصراعات فيما بينهم
- استغلّ ملوك النصارى الوضع السّيّئ في الأندلس، وجمعوا كلمتهم على سحق الدويلات الطائفية والذي ساعد النصارى على اتخاذ هذا القرار، هو تفرق ملوك الطوائف وتخاصمهم فيما بينهم، فبدأ النصارى بشنّ الهجمات على العديد من المناطق الأندلسيّة.
- إنّ من أهم المدن الأندلسيّة التي تعرضت لهجوم النصارى مدينة سرقسطة، حيث سقطت بيد ألفونسو السادس بسبب تخاذل ملوك الطوائف من نصرتها، حيث وقفوا موقف المتفرج اتجاه نكبة طُليطلة، فبعد أن استولى عليها النصارى أصبحت عاصمة إسبانيا الإسلامية، وكذلك سقطت طُليطلة بيد النصارى.
- كانت دولة المرابطين دولةً عسكريةً منذ نشأتها، فهي تملك جيشاً قوياً ساعدها في عملياتها الجهادية في الأندلس، وأول ما ظهر الجيش عند الدولة المرابطية في فترة رباط عبد الله بن ياسين، فهو الذي حثّ المرابطين على الجهاد، ودعاهم إلى الدفاع عن أرضهم .

- قَدّم العلماء والفقهاء دوراً بارزاً في الحياة السياسيّة في الأندلس، فقد كانوا هم المنظّمين لسياسية الحروب لأنهم هم العالمون بأحكام الجهاد، كما أن مكانتهم زادت عند ملوك الطوائف لأنهم كان يساندونهم في تدعيم نفوذهم.
- أدى العلماء دوراً أيضاً في عملية تحريض ملوك الطوائف على الجهاد، فقد أصدروا الفتاوى التي تحثهم على القتال، ودعَوْهم إلى الدفاع عن أرضهم، ومن وسائل التحريض الأخرى أنّ بعض الفقهاء أرسلوا رسائل إلى بعض الأمراء يحضّونهم على الجهاد.
- كان لخطابات العلماء وكتاباتهم صدًى كبير، وأثرٌ واضحٌ بشحذ همم الشّعب الأندلسيّ، وإصرارهم في الدفاع عن أرضهم.
- وجّه العلماء نقداً كبيراً وواضحاً إلى بعض ملوك الطوائف الذين رفضوا دعوتهم في توحيد كلمتهم والتكاتف فيما بينهم من أجل الدفاع عن بلادهم.
- نتيجة للوضع السيئ، والهجمات التي شنها النصارى على بعض مناطق الأندلس، وحد ملوك الطوائف كلمتهم وقرّروا استدعاء مجاهدين يحكمون المغرب يُسَّموْن بالمرابطين.
- لبى المرابطون استغاثاتِ أهل الأندلس، وعبر قائدهم يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، وبدأ بمحاولة استعادة بعض المناطق الأندلسيّة من أيدي النصارى.
- كانت موقعة (الزلاقة) هي موقعةً حاسمةً بالنسبة لمصير الأندلسيّين، فقد انتصر المسلمون على النصارى، وأحدثت الزلاقة نقطةَ تحوّلٍ في حياة أهل الأندلس، فقد استطاعوا تحقيق نوع من الحريّة واستطاعوا التخلص من هيمنة النصارى، لذا تعدُّ معركة الزلاقة حدثاً تاريخياً وانتصاراً عظيماً حقّقه المسلمون في الأندلس.

- ظهر دور آخر للعلماء في ميدان الصراع بين النصارى والمسلمين، فقد قدموا دوراً آخر في معركة الزلاقة، تمثل هذا الدور في تقديم أنفسهم شهداء فداءً لبلادهم وأوطانهم ، بعد أن جاهدوا ببسالة إلى جانب أهالي الأندلس والمرابطين.
- بعد الانتصار الذي أحرزه المسلمون في معركة الزلاقة، عاد ملوك الطوائف إلى سابق عهدهم قبل دخول المرابطين، حيث الفساد والتخاصم فيما بينهم، فما كان من أهالي الأندلس إلا أن طلبوا مرة أخرى مساعدة المرابطين لهم، ولكن هذه المرة طلبوهم ليس للقضاء على النصارى فقط، بل من أجل خلع ملوك الطوائف وتخليصهم من سيطرتهم.
- كانت عودة المرابطين إلى الأندلس مرة أُخرى من أجل تخليص أهل الأندلس من هيمنة ملوك الطوائف وسيطرتهم.
- كان حصار حصن لييط من أهمّ الأمور التي أوضحت لابن تاشفين مدى فساد ملوك الطوائف ومدى حرصهم على تحقيق مصالحهم الشّخصيّة دون الاكتراث لمصلحة البلاد، فلم يُلبّ هؤلاء الملوك دعوة ابن تاشفين عندما دعاهم إلى مساعدته في حصار الحصن، ونتيجة لذلك خسر المسلمون، وانسحبوا عن الحصن ولم يتمكنوا من استعادته.
- أصدر العلماء العديد من الفتاوى التي تُقر بجواز خلع ملوك الطوائف، ونتيجة لهذه الفتاوى قرر المرابطون العمل على خلع ملوك الطوائف واحداً بعد الآخر.
- لجأ ابن تاشفين إلى ضمّ العديد من المدن الأندلسيّة إلى حكمه، وخلع ملوكهم وعزلهم عن مناصبهم ومن هذه المدن: غرناطة واشبيلية وبطليموس وبلنسية.
- تمكّن المرابطون من إنهاء حكم هؤلاء الملوك الطغاة، كما تمكّنوا من توحيد الأندلس تحت سقف دولة الإسلام ، وأصبحت الأندلس تحت سيطرة المرابطين.

- بدأ ابن تاشفين بشن هجمات ضد الممالك النصرانية، فقد نشبت عدة معارك بينهم، انتصر المسلمون في بعضها وخسر في بعضها الآخر.
- انتهى حكم المرابطين في الأندلس على يد النصارى الذين تمكّنوا من السيطرة على الأندلس، وضمّها تحت حُكمهم.
- كانت الفتن التي دبّت ضدّ الدولة المرابطية هي من الأسباب التي ساعدت في ضعفها وسقوطها.
- انتقل حُكم الدولة الإسلاميّة إلى حُكم النصارى، نتيجة سقوط حُكم المرابطين في الأندلس.
- قامت في الأندلس دولة أخرى حملت لواء الجهاد من بعدهم وهي دولة الموحدين وذلك بعد سقوط دولة المرابطين.

قائمة المصادر والمراجع

_ المصادر:

_ القرآن الكريم.

_ ابن الآبار، محمد، (ت 658هـ/ 1259م).

***التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام الهرامش، دار الفكر، بيروت، 1995م.

_ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي، (ت 630هـ/ 1232م).

***الكامل في التاريخ**، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

_ ابن بسام، علي، (ت542هـ/ 1146م).

***الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1997م.

_ ابن بشكوال، (ت578هـ/1182م).

***الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تحقيق: بشار معروف ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م.

_ ابن بلقين، عبد الله، (ت 483هـ/ 1090م).

***مذكرات الأمير عبد الله، تحقيق:** ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

_ ابن تغري بردي، يوسف، (ت874هـ/ 1469م).

***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: محّمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، 1992م.

_ التنبكتي، أحمد، (ت 1036هـ/ 1627م).

*نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط2، دار الكاتب، طرابلس، (د.ت).

_ ابن حزم، علي، (ت 456هـ /1063م).

*التلخيص لوجوه التخليص،تحقيق: عبد الحقّ التركماني،ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2003م.

*رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت 1987م.

_ الحموي، ياقوت شهاب الدين الرومي، (626هـ/1228).

*معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

*معجم البلدان، دار صادر، (د.م)، 1993م.

_ الحميري، محمد، (ت 900هـ/ 1494م).

*الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط1، مكتبة بيروت، 1975م.

_ ابن خاقان، (ت 529هـ/1134م).

*قلائد العقيان ومحاسن الأعيان،(د.د)،(د.م)،(د.ت).

_ ابن الخطيب، لسان الدين، (ت 776هـ/ 1374م).

*أعمال الأعلام في مَنْ بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمّد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، (د. ت).

_ ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت 808هـ/ 1406م).

*العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 2000م.

_ ابن خلكان، شمس الدين، (ت681هـ/ 1282م).

***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.

_ الذهبي، شمس الدين، (ت 748هـ/1347م).

***سِير أعلام النبلاء**، تحقيق: شُعيب الأرنؤوط وآخرين، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت ،1996م.

_ ابن أبي زرع، (ت726هـ/ 1326م).

***الأنيس المطرب بروض القرطاس**، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

_ الزركلي، خير الدين:

***الأعلام**، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

_ ابن سعيد، علي، (ت 685هـ/ 1286م).

***المُغرب في حُلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

_ الصيرفي، أبو بكر، (500هـ/ 1162م)

***الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية**، تحقيق: محمّد علي دبور، (د.د)، (د.م)، (د.ت).

_ الضّبيّ، (ت 599هـ/ 1203م).

***بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.

_ ابن عذارى، المراكشي،(695هـ/ 1295م).

***البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق:إحسان عبّاس، ط3، دار الثقافة، بيروت 1983م.

_ ابن العماد، شهاب الدين، (ت1089هـ/ 1678م).

*شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، ط1، دار ابن كثير، دمشق 1988م.

_ ابن فرحون، إبراهيم، (ت799هـ/ 1396م).

*الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمّد أبو النور، دار التراث للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

_ ابن القطان، حسن:

*نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكّي، ط2، دار الغرب الإسلامي، (د.م)، (د.ت).8م.

_ القلقشندي، أحمد، (ت 821هـ/ 1418م).

*صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م.

_ مؤلّف مجهول:

*تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

_ مؤلّف مجهول:

*الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق، سهيل زكار وآخرين، ط1، دار الرشاد الدار البيضاء، 1979م.

_ مجمع اللغة العربية:

*المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشّروق، (د.م)، 2004م.

_ المراكشي، عبد الواحد، (ت 647هـ/ 1249م).

*المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية بيروت، 2006م.

_المعافري، محمّد، (ت 543هـ /1148م).

*المسالك في شرح موطأ مالك، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م.

_ المقري، أحمد، (ت 1041هـ/ 1631م).

*نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1968م.

_ الناصري، أحمد،(ت 1315هـ/ 1897م).

*الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

_ النويري، شهاب الدين، (ت733هـ / 1332م).

*نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).4م.

_ المراجع العربية:

_ أرسلان، شكيب:

*خلاصة تاريخ الأندلس، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983.

_ الأشتر، صالح:

*معارك حربية فاصلة، مؤسسة الإسراء للنشر التوزيع، القاهرة، 1998م.

_ أشباخ، يوسف:

*تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحّدين، ترجمة: محمّد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1996م.

_ أعراب، عمر:

*يوسف بن تاشفين في التاريخ، (بحث جامعيّ تخرجي)، 2015م.

_ ابن أمير المؤمنين، إسماعيل:

*تاريخ الأندلس من الفتح حتّى السّقوط، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2007م.

_ بوتشيش، ابراهيم:

*مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة بيروت، 1998م.

_ الجيوسي، سلمى:

*الحضارة العربية الإسلاميّة في الأندلس، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1990م.

_ حتامله، محمد:

*الأندلس التاريخ والحضارة والمِحنة، المكتبة الوطنية، عَمّان، 2000م.

_ الحجي، عبد الرحمن:

*التاريخ الأندلسيّ من الفتح حتّى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م.

_ حسين، حمدي:

*التاريخ السياسيّ والحضاريّ للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1997م.

_ حماده، محمّد:

***الوثائق السياسيّة والإداريّة في الأندلس وشمالي إفريقيا**، ط2، مؤسّسة الرسالة، 1986م.

_ حومد، أسعد:

***مِحنة العرب في الأندلس**، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1988م.

_ خليفة، حامد:

***يوسف بن تاشفين مُوحّد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصّليبيين**، ط1، دار القلم دمشق، 2003م.

_ أبو خليل، شوقي :

***الزلّاقة**، دار الفكر، دمشق، 1980.

_ أبو الخيل، محمد:

جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى، ط1، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع السعودية، 1998م.

_ دوزي، رينهارت:

***ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام**، ترجمة: كامل كيلاني، ط1، مؤّسسة هنداوي، مصر 2012م.

_ زغروت، فتحي:

***النوازل الكبرى**، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2009م.

***الجيوش الإسلامية وحركة التغير في دولتي المرابطين والموحّدين**، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2005م.

_ السّامرائي، خليل:

***تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2000م.

_سالم ، عبد العزيز:

***تاريخ المغرب في العصر الإسلاميّ**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).

_السّيّد، محمود:

***تاريخ دولتيّ المرابطين والموحّدين**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.ت).

_ السويدان، طارق

***الأندلس التاريخ المصور**،ط1، الإبداع الفكريّ، الكويت، 2005م.

_ ضيف ،شوقي:

***عصر الدول والإمارات في الأندلس**، ط2، دار المعارف، (د.م)، (د.ت).

_ الطائي، عادل:

***الصّنوف والخدمات في جيش دولة المرابطين**، (د.د)، العراق، (د.ت).

_ الطباع، عبد الله:

***القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدانية**، ط1، دار زيدون، بيروت، 1986م.

_ العبادي، أحمد:

***صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م.

_ العبادي، عبد الحميد:

***المجمل في تاريخ الأندلس**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958م.

_ ابن عَبّود، محمّد:

***التاريخ السياسيّ والاجتماعيّ لإشبيلية في عهد دول الطوائف**، مطابع الشيوخ، (د.م)، (د.ت).

_ علي، كرم:

***غابر الأندلس وحاضرها**، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1923م.

_ عنان، محمد:

***دول الطوائف منذ قيامها حتّى الفتح المرابطيّ**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 197.

***دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين وبداية الدولة الموحّدية**، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1990.

_ الغامدي، خالد:

***الصّراع العقائديّ في الأندلس**، ط1، مكتبة الكوثر، الرياض، 2002م.

_ أبو الفضل، محمد:

***شرق الأندلس في العصر الإسلاميّ**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996م.

_ القيسي، فايز:

***أدب الرسائل في الأندلس**، ط1، دار البشر، عَمّان، 1989م.

_مصطفى، شاكر:

***الأندلس في التاريخ**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م.

_مؤنس، حسين:

***الثغر الأعلى الأندلسي**ّ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1992م.

*معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1997م.

_ محمود، حسن:

*قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

_ المريني، عبد الحق:

*الجيش المغربي عبر التاريخ، ط5، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1997م.

_ موسى، محمد:

*استجابات إسلاميّة لصرخات أندلسيّة، ط1، دار الأندلس الخضراء، جده، 1994م.

_ النبهاني، تقي الدين:

*النظام الاقتصاديّ في الإسلام، ط6، دار الأمة، بيروت، 2004م.

_ نصر الله ، سعدون:

*دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.

_ هيكل، محمّد:

*الجهاد والقتال في السياسة الشرعيّة، ط2، دار البيارق، (د.م)، 1992م.

_ وات، مونتغمري:

*في تاريخ إسبانيا الإسلاميّة، ترجمة، محمد المصري، ط2، شركة المطبوعات للطباعة والنشر بيروت، 1998م.

_الرسائل الجامعية:

_بهلول، نداء:

*جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس، الجامعة الإسلاميّة، غزة، 2014م.

_بن بيه، محمّد:

*الأثر السياسيّ للعلماء في عصر المرابطين، جامعة أم القرى، مكّة المكرمة، 1997م.

_ بولعراس، خميسي:

*فن الحرب في العصر الإسلاميّ خلال عصر المرابطين والموحّدين، جامعة الحاج خضر، باتنه 2014م.

_ الحساني، فايزة:

*تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة حتّى سقوطها، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة 2009م.

_أبو الصوف، فضيل:

*العلاقات السياسيّة بين الأندلس الإسلاميّة وإسبانيا النصرانيّة، جامعة منتوري، الجزائر 2011م.

_ العبدالات، فاطمة:

*الحضّ على الجهاد في الأدب الأندلسي في عصري الطوائف و المرابطين، الجامعة الأردنية عَمّان، 2007م.

_ أبو ندى، محمود:

*الدور الجهاديّ للعلماء في الأندلس، الجامعة الإسلامية، غزة، 2006م.

_الهرفي، سلامة:

*الأحوال السياسيّة وأهم مظاهر التطور الحضاريّ لدولة المرابطين، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة 1982.

_ الدوريات:

_شاكي ، عبد العزيز:

***الصّراع المرابطيّ الأرغونيّ أيام عليّ بن يوسف،** مجلّة جامعة بابل ، العدد3، الجزائر، 2016م.

_ شلبي، عمر:

***دور علماء الأندلس في الحياة السياسيّة خلال القرن الخامس الهجري،** مجلة الجامعة الإسلامية مج16، عدد، 2، (د.م)، 2008م.

***صحيفة معهد الدراسات الإسلاميّة،** مج 13، مدريد، 1968م.

_ الموسوعات:

_زبيب، نجيب:

***الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،** ط1، دار الأمير، بيروت، 1995م.

_ مؤنس، حسين:

***موسوعة تاريخ الأندلس،** ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009م.

- **المراجع الأجنبية:**

Constable, Olivia , **Trade and Traders In Muslim Spain**, Unviersity Press, Cambridge, 1996.

Fangnan , **Extraits Inedits Relatifs Au Maghred**, Alger, 1924.-

Livermore, Hv, **The Origins Of, Spani And Portugal**, London, 1991. -

Provencal, Levi , **Histoire de L Espagne Musulmane ,**Paris, 1950.-

Saavedra, Ed uardo , Estudio Sobre La Invasion Los Arabes On Espana, Madridm, 1992.

Scot, s.p, **Ahistory Of The Morish, Emper, In Earope,** London, 1923.

Thomron, Ea, **The Golths In** Spain, Oxfored, 1969.

Abstract

In the fifth century AH, the Umayyad Caliphate fell in Al-Andalus, and with its fall many of the emirates that were called the Taifa Kingdoms were born. The emirs and rulers of these states were in constant conflict among themselves, and their policy was based on the realization of their personal interests without taking care of the interest of the state and the people. As a consequence of this policy, Al-Andalus suffered from poor political conditions due to the wars among these emirs, and the poor political situation had its influence on the economic situation. This policy also affected the population of Andalusia who began to complain about it, and the kings of the Christians exploited this situation and carried out raids on many areas in Andalusia.Also, they tried to seize many of the cities of Andalusia, the risk of these Christians worsened day after day, As a result, the party kings were aware of the seriousness of the situation in Andalusia, so they had only agreed among themselves to seek help from the Almoravids in Morocco led by Youssef Ben Tashfin, who responded to aid the party kings, and he crossed several times to Andalusia achieving victory. These Almoravids struggled with all their strength to rid Andalusia of the domination and control of the Christians.

The struggle of the Almoravids in Andalusia was not only against the Christian kingdoms, but against the party kings, as well. The leader of the Almoravids, IbnTashfin, soon discovered the extent of their failure to defend Andalusia and discovered their greed in obtaining positions without considering the interest of the people and the interest of the state. The Almoravids removed these emirs from their positions and annexed Andalusia to the rule of Almoravids, and after the annexation of Andalusia, the Almoravids directed their jihad against the Christian kingdoms, the battle had its ups and downs between Muslims and Christians. They achieved victory in some wars, but they were defeated in others. Despite what the Almoravids did in Andalusia and despite their violent jihad against the Christian kingdoms, they failed to keep Andalusia under their control. Christians managed to control it and ended the rule of Almoravids, and the reason for that is the numerous revolutions against them in most areas of Al-Andalus. Moreover, the power of Andalusia began to weaken after the end of the

rule of Yusuf ibnTashifin. Despite the end of their rule in Andalusia, the Almoravids wrote bright pages of the finest examples in the history of Al-Andalus.